ضلع قادر
رغَد صهريج
ـكَيان ـ

ضلع قادر

رغد صهريج

الإهداء :

إلى كل أنثى موجودة في هذا العالم
إلى من أطعموني من رحيق فؤادهم وكانوا لي الكتف
الذي لا يميل .."أمي و أبي"
إلى أختي وصديقاتي اللاتي لم يتوقفن يوما عن دعمي
"تيما" خصوصا ..
إلى التي ودّعت روحها الأرض لتجتاز السماء ولكن
حبها بقي معلقا في صميمي بلا تزعزع "جدتي"..
وإلى صاحبة الصوت الملائكي الذي يجاور القمر ويرمم أعطاب العمر التي لم يفارقني صوتها طوال فترات الكتابة "فيروز"

رغد ..

في كلّ مرة أكتب عن الأنثى ،أطمع وأطمح أن تتغير نظرة المجتمع للأنثى ..

ولكن ليس هذه المرة،هذه المرة أريد أن أتحسس الضمائر .. أريد أن اخاطب العقول بلغة الكتابة

أطمح هذه المرة أن تنال الأنثى تقديرا من العالم بأكمله..

لا أريد أن تتغير النظرة فحسب ، بل أريد أن تنال الأنثى حقوقها ،أن يحب الرجل زوجته لأن عليه أن يحبها وأن يبادلها الاحترام لأنها تستحقه..

لا أن يعاملها على أنها وعاء للإنجاب ،وآلة غسل للثياب

أن يراعي الأب مشاعر ابنته ولا يكرهها على مالا تطيقه ..

الانثى ليست جارية ..

إنـها سيدة

سيدة المجتمع وسيدة العالم وسيدة نفسها،

سيدة فوق كل الجاهلين والظالمين ..

سترى هنا أن الأنثى بنصف عقل ..

يضاهي الكون

والأفلاك والكواكب أجمع ..

الكاتبة..

وضعت هذه الورقة ضمن الأوراق المبعثرة في كافة أنحاء الغرفة ، وأنا أفكر عن ماذا سأكتب كيف فقدت شغفي للكتابة بهذه الطريقة !

لطالما هربت من عالمي لأنزوي بالعالم الخاص الذي صنعته لنفسي عالم الأقلام والورق ، العالم الذي يحتضنني بكلتا يديه ويطبطب على قلبي بكل حب

لمَ ذهب الشغف فجأة !..

وبينما أنا غارقة في أفكاري انسابت إلى أذني طرقات خفيفة على الباب

إنها كلارا فتاتي الجبارة الغامضة ،عرفتها منذ بضعة أيام وأنا إلى الآن أجهل طبيعة حياتها ..

_كلارا .. لقد تأخرتي تفضلي بالدخول

_كيف حالك كيان .. أو بالأصح ..كيف حال الطبيبة النفسية كيان ،التي ستدون قصتي ببضع صفحات..

_أكتب عنكِ ؟هل أنتِ جادة ،هذا من دواعي سروري ..

وبينما كنت مشتتة وضائعة أتخبط بين النصوص، جاءت إلي كلارا لتغير مجرى الحكاية

_تحدثي يا كلارا

بدأ كل شيء عندما ولدت

كنت الشيء الذي يخجل أبي به

كنت العار الذي أتى إلى حياة أبي ليدنسها ويشوه تفاصيلها

فتاة ! ماذا سيقول للناس ،كيف سيواري هذه السوءة التي أتته

جعل من طفولتي سجنا ، كنت وعاء ل إفراغ غضبه يغضب ف يضربني ، تأتي أمي لتدافع عني فيضربها جعل مني إنسانة منزوية تخجل من ذاتها ،حتى في مدرستي وبين أصدقائي كنت تلك الفتاة الوحيدة ..

كان يهددني ب تركي للمدرسة ، أصبحت أداري أبسط تصرفاتي كي لا أفقد حقي بالتعليم مع باقي حقوقي التي سلبني إياها

وفي يوم من الأيام كنت عائدة من المدرسة
احتضنني أبي للمرة الأولى وقال لي
_ أصبحتِ كبيرة بما فيه الكفاية وأصبحتِ بسن فتاة مؤهلة للزواج ..
كنت شاردة الذهن لم أعطِ بالا لما قاله ،كنت غارقة في هذا الحضن الذي أتذوقه لأول مرة في حياتي
تساءلت في غرارة نفسي، ترى ما شعور الفتيات اللواتي ينعمن بدفء وحب العائلة !
ابتعد أبي عني وأتت إلي أمي وبدأت تزف إلي الخبر الذي أثلج قلبها فرحا ..
_تعالي يا حبيبتي تعالي لأضع إليكِ مساحيق التجميل فأنتِ أميرة العائلة اليوم
_أمي لما كل هذا ، هل لدينا احتفال
_لا يا كلارا اليوم سيأتي زوجكِ المستقبلي لرؤيتكِ
_أنتِ جادة ! أمي لا أريد أرجوكِ إن صديقاتي لم

يتزوجن بعد وإني أطمح أن أكمل دراستي

_كلام فارغ هيا دعيني أنتهي من تجهيزك

ابتلعت خنقتي التي كادت تفجر حلقي وأنا أرى الجميع سعداء سواي ،كانت السعادة تملأ قلوب الجميع ولكن لا أحد يهتم ب سعادتي أنا

خرجت لمقابلة من يقولون عنه "زوجك المستقبلي"

كان شابا حسن الوجه ،لكن ليس ثمة طمأنينة بملامحه

كان يبدو عصبيا جدا

_مرحبا

_أهلا ياكلارا .. اسمي أحمد ،عمري ثلاثون عاما أعمل في النسيج .. ماذا عنكِ

_تشرفت بمعرفتك .. أنا كلارا كما تعلم عمري ست عشرة سنة كنت أدرس الصف العاشر قبل أن تأتي أنت

_حسنا .. الآن ستوقفين دراستك لتتفرغي لزوجك ومنزلك ، أستأذن الآن يا عمي وكما اتفقنا سيكون الزفاف بعد أسبوع ، إلى اللقاء

شعرت وكأن يدا تمسك بعنقي وتضغط عليه بشدة
أسبوع لماذا ! لم أحب هذا الشاب ألا يريد أبي أن
يسألني عن رأيي حتى ..ماذا عن أصدقائي وماذا عن
أحلامي ،ماذا عن كل شيء رسمته في خيالي ، هل انتهى كل
شيء !
بعد أسبوع كنت أرتدي فستان الزفاف الأبيض باهظ
الثمن، أتى أحمد وأمسك بيدي ودخلنا سويا إلى قاعة
الزفاف ..
لم أشعر بشعور الأميرات ولم أكن سعيدة كسندريلا
شعرت لوهلة بأني وسط مسرحية من فلم الجميلة
والوحش وبأن كل هذا سينتهي عندما يقول المخرج
قطع ...
فتاة صغيرة تمتلك شعرا أسودا وعينين خضراوان
وبشرة سمراء تتزوج من شخص لا تعلم عنه سوى القليل
يكبرها بالعمر أربع عشرة سنة كان هذا السيناريو
معتادا ومكررا جدا في عاداتنا ..

زواج بالإكراه ،فقط لأنني أنثى لم أستطع الرفض ولم أستطع القبول حتى ،وافق أبي ف الزواج سيتم وانتهى الأمر ..

ولكن شيئا ما داخلي كان يرفض ما يحدث ..

شيء ما داخلي كان يأمرني بأن أكسر القاعدة

وأن اظهر مخالبي وأنقض عليهم جميعا ،ولكنني كنت أجبن من هذا كله ..

انتهى الزفاف وذهبنا أنا وأحمد إلى منزلنا وبمجرد

دخولنا إلى المنزل تحول أحمد إلى وحش كاسر انقض على فريسته وأخذ منها كل شيء يريده بوحشية وفظاظة تامة ..

واسترخى على السرير بجانبي غبر مبالٍ ببكائي

ودمائي التي تسيل

لم استطع النوم في تلك الليلة ،حل الصباح وأنا أشعر بالألم يكاد يمزقني

_أ.أحمدد

..._

_أحمد أرجوك استيقظ أنا اتألم ،الدماء تسيل مني بغزارة أحمد

_ماذا تريدين في هذا الوقت ،ماذا يحصل ماهذه الدماء

أخرج هاتفه واتصل بأمه التي أتت مسرعة إلينا .. وخلال دقائق كنت مستلقية على سرير في المشفى وكانت الطبيبة تحاول جاهدة إيقاف النزيف الذي أصابني

_من زوج تلك الفتاة

_أنا تفضلي

_إنها صغيرة جدا .. طريقتك بالتعامل معها كانت وحشية جدا أخشى أنها تضررت كثيرا وآمل أن تسطيع الحمل بعد كل هذا التعب

_ماذا تقصدين أتقولين أنها لم تعد تستطيع الإنجاب هل أنتِ مجنونة

_احترم نفسك يا سيد .. لم أؤكد كلامي بعد ولكن يجب

عليك أن تكون حذرا معها أرجو أن لا تقترب منها لمدة أسبوع

_هراء .. حسنا أحضريها الآن شكرا لجهودك

عدنا للمنزل وأنا متعبة ومليئة بالخيبة عائلتي لم تجرب أن تأتي لرؤيتي حتى

شعرت بالألم يعتصر قلبي ،أين عائلتي مما يحدث ؟

أين العدالة في هذه الحياة ،فقط لأنني فتاة يجب أن أتحمل الأسى بكل صدر رحب دون أن أنبس ببنت شفة ..

جلس أحمد وهو غاضب وكانت ملامح وجهه لا توحي بالخير

_حضري لي بعض الطعام حالا

ذهبت للمطبخ وحضرت له بعض الطعام بالرغم من الإرهاق الذي كان يجتاح خلايا جسدي

أتى المساء وكان أحمد جالسا يشاهد التلفاز انتفض

فجأة وأتى إلي

_سمعتي ما قالته الطبيبة أنتِ عديمة نفع ولا تستطيعين الإنجاب ..أريد أطفالا الآن وحالا

_أحمد أرجوك ليس الآن ،أنا متعبة أرجوك لا تفعلها أصبح يقترب مني وأنا أبكي بلا أي صوت لم أستطع المقاومة حتى ..أعاد ما فعله في الليلة الماضية وتركني مستلقية كالجثة الهامدة دون حراك أعاد ما فعله دون أي رحمة لم يهتم ل رجائي وتوسلاتي له بأن يتركني وشأني ،أنهي ما قد بدأه ثم ذهب في نوم عميق وفي الصباح حاولت النهوض وأنا أشعر بألم يكاد يمزقني ..لكن هذا الألم لم يكن يعني شيئا أمام الألم الذي يعتصر قلبي

لم يكن يعني شيئا أمام شعور اليتم الذي اجتاحني فجأة شعرت بأن كل شيء في هذا العالم يود السخرية مني استجمعت قوتي وذهبت لتحضير الطعام ..وبعد ذلك عدت لغرفتي وخلدت بنوم عميق ولم يوقظني سوى

صوت صراخ أحمد

_ يا غبية لم تنهضي إلى الآن

هممت بالنهوض وأنا ألعنه بداخلي مائة مره .. كان ينادني بأقبح الألفاظ ويضربني ويشتمني مرارا غايته الوحيدة كانت الأطفال ،كان على أتم استعداد بأن يقتلني ليحصل على طفل ..

وبعد سنة من زواجي منه ذهبنا إلى الطبيب وأجرينا فحوصات عديدة وتبين أن جسدي هزيل لا يقوى على الحمل في تلك الفترة لكن المفاجأة الكبيرة كانت في أحمد

_ سيدي أعتذر منك ولكن أنت عقيم

_ عقيم!! ماذا تقول أنت مجنون إن زوجتي عقيم ما شأني أنا هل نقلت لي العدوى

_ كن هادئا سيدي لا علاقه لزوجتك بالأمر أرجوك اهدأ زوجتك تحتاج إلى قليل من التغذية والراحة وستكون قادرة على الإنجاب ولكن وضعك حرج قليلا ..

عدنا إلى المنزل وأنا أشعر بالنصر في داخلي
شعور جميل تسلل إلى داخلي،أظن أنها عدالة القدر
ولكن سعادتي لم تكتمل لأننا ما إن وصلنا حتى انهال علي ضربا وهو يرمي على عاتقي مسألة مرضه
_ اذهبي الآن اذهبي عودي إلى عائلتك أنتِ طالق..
لم تكن كباقي الكلمات رغم كرهي له إلا أنني شعرت بانفطار في قلبي .. فتاة في هذا العمر تصبح مطلقة ماذا سيقول والدي وماذا ستفعل أمي ،كم سأعاني من المجتمع بعد هذا اليوم ،كل ما يحصل بسبب والداي كل ما عانيت كان بسبب تخلفهما وعاداتهما القديمة المتحجرة ،أدركت تماما في تلك اللحظة بأني لن أسامحهما ما حييت ..
ذهبت إلى عائلتي أجر خلفي أذيال خيبتي وخوفي..
خوف من المجهول وخوف من المستقبل تمنيت في تلك اللحظة أن أصبح رمادا وأن أختفي عن الوجود كله..

_ اهدئي كلارا يمكننا أن نكمل حديثنا فيما بعد اشربي القليل من الماء وكفي عن البكاء

_ كيان ستكون هذه اخر مرة أتحدث فيها عن ماضيي ،هناك شيء سيكتم أنفاسي قريبا ويحولني إلى جثة ..

_لا حبيبتي أنتِ قوية وستتخطين كل ذلك .. وأكملي متى تشائين

لم أستطع النوم بعد ذهاب كلارا .. حتى أنني عجزت عن الكتابة .. كنت أشعر أن هناك شيئا مجهولا ويجب أن أعرفه .. قالت لي كلارا أنها متزوجة ولكني لم أرى زوجها منذ أن عرفتها

أحصيت أوراق كتابي الذي سبق وغضضت النظر عن نشره .. أمسكت بالأوراق ووضعتها فوق طبقات الورق التي سبق وغضضت النظر عنها أيضا ..

فمن يهتم بما أكتب أنا ،ومن يحاول قراءة أوراقي ، أرسلت رسالة إلى كلارا لكي تأتي إلي غدا لنكمل حديثنا

ذهبت للنوم واستطعت أن أغفو بصعوبة كبيرة ..
عملي كطبيبة نفسية يملي علي أن أفكر بمشاكل
مرضاي كلها قبل أن أخلد للنوم
أتى الصباح واستيقظت بكل نشاط وذهبت إلى عيادتي
لكي أستقبل كلارا ..كانت جميع رغباتي تتمحور حول
أني أريد أن أعرف كلارا أكثر .. أريد أن أغوص
بأعماقها لأصلح ما أفسده العالم بها ،أريد أن أرمم ما
انكسر بداخلها لأحيي قلبها مرة أخرى ،
أتت كلارا وبعد اطمئنان وحديث قصير قررت أن
تكمل من حيث توقفت في اليوم السابق ..
_وصلت إلى منزل عائلتي وأخبرتهم بكل ما حدث..
توقعت منهم القليل من التعاطف أو ربما الشفقة ولكني
لم أرى منهم سوى الغضب والكراهية
لم أرى في حياتي أي نوع من المحبة منهم
كل ما أصابني منهم هو الخذلان وخيبة الأمل
أدخلني أبي إلى الغرفة وأبرحني ضربا ولكن ضربه لم

يكن مؤذيا بقدر الأذى الذي سببه لي عندما زوجني
من أحمد ،لم أكن أشعر بالألم من ضربه ،بل إن ما
آلمني هو أن هذا الرجل هو أبي ،أبي الذي يجب أن
يكون مصدر السعادة لي ،لكنه كان مصدر الشقاء والبؤس ..
أي أبٍ هذا ،وأي عادات هذه التي تسيطر على العقل
بالكامل وتجعله بكل تلك القسوة
أين عدالة القدر وأين النهايات السعيدة التي قرأنا عنها
بالقصص !
منع أمي من التحدث إلي في الأيام الأولى ،وكان
يكرهني ويعاملني وكأنني قمت بفاحشة كبيرة ويراني
عارا لأنني أحمل لقب المطلقة ،
كان يضربني كثيرا وكثيرا ما كان
يحبسني في الظلام ،و في أحد الأيام كان هناك
اجتماع عائلي عند أحد أقاربي وفي ذلك اليوم
أخبرني أبي أن أحمد تحدث إليه ويريد أن يردني إليه
وأنه شعر بخطئه تجاهي ..

وأخبرني أبي أنه أعطاه الموافقة ،شعرت في انقباضة في صدري .. وانهالت العبرات على وجنتي ولم أتفوه بكلمة واحدة ..

وانا في نفسي أحيك خطة علها تخرجني من جحيمي هذا الهرب ،أجل لقد لجأت للهرب ،أحيانا يلجأ المرء للابتعاد عن واقعه حتى يستطيع أن يغيره تغييرا جذريا

لم أكن أول فتاة تجبر على الزواج أو حتى على العودة إلى طليقها

ولكني لم أستطع العيش هكذا ،لم أستطع الاعتياد على حياة لا تحوي بين طياتها أي شيء يشبه الحياة ،لم أستطع الاعتياد على حياة كل ما فيها ممنوع ،حياة

نسيت فيها من أنا وماذا أريد حتى ، لم استطع أن أبقى ضمن الصندوق المغلق ،قررت كسر القواعد ،قررت فتح أجنحتي والطيران ،علني أجد حياة تشبه الحياة ..

في دار عمي كان الجميع ينتظرون عودة ابن عمي

تامر من السفر ،تسللت بهدوء وخرجت من المنزل ورحت أركض بعيدا إلى أن كادت سيارة تضربني..

خرج منها شاب مفتول العضلات طويل جدا مقارنة بطولي

_ لما انتِ مسرعة هكذا..

سكت قليلا ثم قال:

_ لحظة ألستِ كلارا ؟

أصبحت أبكي بطريقة هستيرية

_أرجوك دعني أذهب أرجوك إن أبي يريد أن يعيدني إلى ذلك الرجل ابتعد من طريقي أرجوك

_ اهدئي قليلا ،أنا تامر ابن عمك هل تذكرينني

سرحت قليلا وأنا أحاول استعادة ذكرياتي

أجل أعرف هذه الملامح جيدا إنه لا شك ابن عمي كما يقول تكلمت من بين دموعي

_ أجل اعرفك

_حسنا اصعدي إلى السيارة لكي نتحدث هيا

_ أرجوك لا تعدني إليه أرجوك

_توقفي عن البكاء ودعينا نتحدث

صعدنا الى السيارة وحدثته بكل ما حدث لي.. شعرت بالخجل جدا وانا أحدثه عن تصرفات احمد معي..

رأيت نظرة الحزن في عينيه

رأيت في عينيه النظرة التي تمنيت أن أراها من أمي ، أو من أبي ،نظرة تمنيت لو رأيتها من أحد في الشارع، نظرة واحدة كانت كافية لتعيدني إلى الحياة ،لتعيد إلي الثقة التي فقدتها منذ زمن بعيد ، بعيد جدا ..

_والآن أخبرني أبي أن أحمد يريد أن يردني وأبي وافق ولم يعترض كنت في منزل عائلتك حيث العائلة كلها مجتمعه فتسللت بصمت وهربت

_ ألم تفكري إلى أين ستذهبين؟

_ الى الجحيم.. أقبل أن أكون في الجحيم على أن أعود مطأطأة الرأس إلى من كان سببا في بؤسي ،أريد أن أصبح متسولة ،أو حتى مختلة عقلية، ولكني لن أرضى

بعد اليوم بأن تسلب مني كرامتي وأنا جالسة مكتوفة اليدين

_لن يسلب أحد منكِ شيئا بعد اليوم ياكلارا ،هل معك بطاقتك الشخصية ؟

_أجل

_إذا سآخذك الآن إلى شقتي الخاصة .. وعندما تنتهي زيارتي سوف أسافر وآخذك معي ..هل أنتِ موافقة ؟

_شكرا لك ياتامر ..ولكنك لست مجبرا على ذلك دعني أحاول أن الملم شتاتي وحدي ،إن عائلتي لم تشفق علي وتساعدني ف من أنت لتساعدني !

_أنا شخص من الماضي يا كلارا ، سآخذك معي

_لم أفهمك

_ليس ضروريا أن تفهمي كل شيء

_أحيانا علينا فهم كل شيء

_ليس في كل الأحيان

_ ألم تخدعني وتخبر أبي عن مكاني

_أعدك أنني لن أخبر أحدا عن مكانك

_وإن سافرت معك وبحث عني أبي ألم يعلم أنني سافرت من اسمي

_ بالتأكيد سوف يعلم لدي صديق يستطيع أن يغير لكِ معلوماتك الشخصية

_أشكرك يا تامر وأرجو ان لا أكون عبئا عليك..

أخذني إلى شقته وذهب إلى العائلة لكي يراهم بعد ما عاد من سفره

دخلت إلى الشقة وأخذت حماما دافئا ولم أجد ما أرتديه فأخذت إحدى قمصان تامر ..

بدوت به وكأنني طفلة صغيرة ترتدي ثياب والدها

جلست شاردة الذهن متخدرة الحواس

أفكر في الآتي ،ماذا تحمل لي هذه الحياة بين طياتها ياترى ، مزيدا من البؤس!

أم أن الوقت حان ل كسر القاعدة والخروج عن المألوف !

عاد تامر في المساء بينما كنت أشاهد التلفاز

_كلارا هل أنتِ نائمة

_ لا يا تامر أنا هنا ..

كيف الأوضاع في منزل العائلة؟

_ إن والدكِ غاضب جدا ويبحث عنك في كل مكان ومعه ذاك الرجل الذي حدثتني عنه.. وأمك تبكي بشدة إن الوضع مأساوي جدا

_ إنهم يستحقون هذا .. أنا لا أريد العودة إلى ذلك الوحش.. أنت لا تعلم ما هو شعوري وأنا أحمل لقب المطلقة قبل أن أكمل العقد الثاني من عمري

لا تعلم شعوري وأن أبكي ليلا على وسادتي وأخبرها بأحزاني علها تخفف عني صعوبة الأيام ،لقد أجبروني على شيء دمرني ،شيء حولني من طفلة إلى فتاة تخشى من أي شيء ، لقد حان الوقت لأبتعد ،حان الوقت لأجهض كل تلك الذكريات والكلمات التي قاموا بحقنها في صميمي

_ لا بأس يا كلارا أعدك أن كل شيء سيكون على ما

يرام.. اذهبي للنوم في غرفتي وأنا سأنام على الأريكة

_ لا يا تامر نم أنت في سريرك مؤكد أنك متعب من السفر وأنا من ستنام هنا لا أريد أن أكون متطفلة

_سنتفق لاحقا تعالي نتحدث الآن .. هل أنتِ حاصلة على أي شهادة

_ نعم كنت أدرس الصف العاشر قبل أن يزوجني أبي لأحمد

_جيد جدا هذا يعني أنكِ حاصلة على الشهادة الإعدادية

_ نعم

_إذا خطتنا هي أننا سنسافر بعد شهر بعد أن أنهي زيارتي وأنهي أوراق سفرك باسمك الجديد

_تامر لا أعلم كيف سأرد لك الجميل أشكرك جدا

_لا شكر على واجب يا كلارا ..

إذا أخبريني ما الذي دفع والدك لأن يزوجك لأحمد

_ لا أعلم إنه يكره الفتيات .. يراهم عارا

منذ الصغر لم أرى معه يوما جميلا كان دائما يعترض

على دراستي وعلى اي شيء أقوم به .. ولقد قام بحبسي في غرفة مظلمة ليوم كامل دون طعام ولا شراب لأني قمت بالاعتراض على زواجي من أحمد .. ضغط علي كثيرا وحاولت أن أمنع هذا الزواج لكنه لم يغير رأيه أبدا حتى أنني بكيت أمام أمي لساعات .. لكنها لم تكن لديها اي رغبة في محاولة إيقاف ما يحدث ،

صدقني يا تامر إن هذا الزواج هو أسوأ كوابيسي ...

انهرت في البكاء في ذلك الوقت..

لم يعلم تامر ما يفعل، اقترب مني ووضع رأسي على صدره .. تمسكت به وبقيت أبكي لوقت لا أعلم كم طال .. كل ما أعلمه ان هناك إحساسا تكون بداخلي ولم أستطع تفسيره عندما اقتربت منه ..

_ما هذه الرومانسية يا كلارا

_لم تكن رومانسية يا كيان كان شعورا بالأمان الذي لطالما افتقدته..

كان صدره عالما آخر مليئا بالطمأنينة
تمنيت لو أن الزمن توقف بي وأنا على كتفه ..

_يا للروعة ..
هل تريدين أن تكملي أم أنكِ تعبتِ
_ لا أعلم.. ما رأيك أن أقوم بدعوتك للفطور في المطعم القريب
_وهل هناك أحد يرفض دعوة على الطعام هيا نذهب
ذهبنا أنا وكلارا إلى المطعم وجلسنا نأكل..
كانت هذه أول مرة أرى بها فتاة بهذا التعري
وأقصد بالتعري .. تعري الروح .. أن يفتح لك أحد قلبه ويحدثك عن آلامه وماضيه ..
بعدما انهينا الطعام جلسنا نحتسي القهوة سرحت كلارا وعادت إلى ماضيها ..
بعدما مضى الوقت الذي لا أعلم إن كان طويلا أم قصيرا ..

ابتعدت عن تامر وأنا أشعر بالدم يسري في عروقي

_انا آسفه يا تامر

_لا بأس لقد تعبتِ بما يكفي اليوم هيا اذهبي إلى النوم سأذهب غدا إلى السوق وأشتري لكِ الملابس ..لأني أرى أن هناك من قام باحتلال ملابسي

نظرت إلى نفسي وأنا خجلة.. وركضت إلى غرفة تامر دون أية كلمة

استلقيت على السرير وبدأت الأفكار تجتاح مخيلتي مجددا ،هل تامر إنسان جيد أم أنه يود خداعي وإعادتي إلى أبي بعدما أعطيه كامل ثقتي كنت خائفة جدا فقد اعتدت على أن لا أثق بأحد اعتدت على الخذلان من الجميع ، لم اعتد أن أرى كتفا لأتكئ عليه ..

استيقظت صباح اليوم التالي ولم أجد تامر في المنزل بدأت بإعداد فطور خفيف ريثما يعود

وبعد ساعتين من الانتظار عاد تامر

_كلارا كيف حالك ..لقد ذهبت لزيارة عائلتي ..هل أنتِ مستيقظة منذ وقت طويل

_لا ليس كثيرا ، تامر بما أنك في زيارة لما

لا تقيم مع عائلتك

_اعتدت الاستقلال في حياتي ولم أعتد على أن يشاركني أحد في المسكن ..

فأنا منذ أعوام أكمل دراستي خارج المدينة ،ما هذه

الرائحة الشهية ..هل قمت بإعداد الطعام

_نعم وجبة خفيفة وآمل أن تعجبك

_يبدو لذيذا جدا هيا تعالي نأكل

و بينما نحن نأكل قال لي تامر أنه أحضر لي ثيابا

ووضعها في الغرفة ..وقال لي أن والدي يقول أنه إن

وجدني سيقوم بقتلي ..وقف الطعام في مجرى التنفس

وشعرت أنني سأختنق لمجرد أنه ذكر أبي أمامي أعلم

أن فعلتي كبيرة جدا وأن خطأي لا يغتفر بالنسبة لأبي

وأعلم أن هروبي من هذا الواقع الذي عشت به ليس حلا ..

ولكنه يعتبر انسحابا مؤقت ..أو بمعنى آخر استراحة محارب ..وآمل أن أعود أقوى إن حدث وعدت

ولكن كل شيء يهون أمام عودتي إلى ذلك الرجل

_ أين سرحتِ كلارا

_لا شيء ،هل أعجبك الطعام

_شهي جدا لم أتذوق طعاما بهذا المذاق من قبل ..

مضى شهر كامل وتامر يعاملني بأخلاق واحترام بدأت أشعر تجاهه بشيء لم أستطع تفسيره أو ربما أحاول الهروب من تفسير ذلك الإحساس ..

أخاف عليه إن تأخر ..

وأشعر بالأمان لمجرد وجوده ..أثق به ..وكأنه كل شيء بقي لي في هذا العالم

بدأت أنجذب له وأشعر تجاهه بحب دفين..

حب لا أقوى على الإفصاح به..

كنت مجبرة على دفن ذلك الحب لأنني في غرارة نفسي كنت مقتنعة بأنني اقترف بحبي له ذنبا كبيرا ..
لم أكن أرى تامر كثيرا فهو يقضي معظم وقته في منزل عائلته ..
وبينما أنا غارقة في أفكاري .. عاد تامر إلى المنزل
_كلارا كيف حالك .. سنسافر خلال يومين وهذه بطاقة شخصية جديدة للكِ اسمك بها هو كارلا ..لقد حاولت قدر المستطاع أن لا أغير حروف اسمك كثيرا
_ كارلا ! حقا رائع
_ لكن أظن أن هناك مشكلة واحدة
_ما هي

_لا أستطيع أن أخرجك خارج هذه المدينة إلا في بعثة دراسية أو إن كنت أخاك أو ..
صمت تامر وشرد ذهنه وراحت عيناه تنظر في عيني نظرة لم أجد لها تفسيرا ولم أفهم معناها

_ماذا يا تامر

يجب أن نتزوج ..احم ..أقصد ..زواجا ورقيا فقط..

هل فهمتِ ما أعنيه

_ماذا تقولين تزوجتما ؟

_نعم ،تعبت اليوم يا كيان هل يمكنني إن أكمل لاحقا

_حسنا يا كلارا عدا أنني سأقضي ليلة طويلة وأنا أفكر بقصتك ..لا تتأخري غدا

_حسنا .. أراكِ لاحقا وداعا

خرجت كلارا من المطعم وتركتني شاردة الذهن

أحاول جمع أفكاري

أهملت الكتابة وحتى أنني لم أعد أقرأ الكتب قبل نومي

إن قصتها ليست غريبة لكن قوتها وتماسكها أمامي

هما ما جعلاني في حيرة من أمري .. وأكثر ما جعل تساؤلي يزداد هو أنها لا تمتلك أطفالا ..هل يعقل أنها حقا لم تعد قادرة على الإنجاب بسبب أحمد ..

أكملت بقية يومي في استقبال المرضى والاستماع إلى

قصصهم لم أستطع الاستماع إلى كم أكبر من القصص
ألغيت بقية المواعيد وذهبت إلى كلارا
_كيان!!
_ لم تشتاقي لي مؤكد .. لكنني أريد الاستماع لبقية
قصتك فهل تسمحين لي أيتها الأميرة كلارا
_كم أحبك يا كيان تفضلي بالدخول ...
حسنا سأبدأ ،أخرجي الأوراق وابدئي ب نثر حبركِ عليها ..
عندما قال لي أنه يجب علينا أن نتزوج نسيت كل ما
قاله بعد تلك الجملة ..
آنذاك تأملته مليا.. لم أركز سوى على أن هذا الرجل
سيكون زوجا لي..
سواء على الورق أو بالحقيقة كل ما فكرت به هو أن
هذا الرجل الاستثنائي ..
ذا البنية الضخمة .. والعينين الحادتين، سيكون زوجا لي ..
تساءلت بيني وبين نفسي ..ما الذي جعلني أقع بالحب
بهذا الشكل بعد أن فقدت الحياة بريقها في عيني ..

ما هو الحب وما ماهيته وكيف يحتل القلب فجأة دون أي سؤال ..

لم أذكر أنني سمحت للحب بالدخول لعالمي ..

ولكن ،رجل مثله يقع المرء به بكامل حواسه

بلا تفكير ولا منطق

حبي له خرج عن المنطق ..وأرى أني أصبح ساذجة

كلما ارتفع سقف أحلامي أكثر فأكثر ..

استجمعت قوتي لأجاوبه بالمنطق ..المنطق لا أكثر

فإني إن قررت وأدخلت قلبي .. فأضمن

أن كل شيء سينهار فوق رأسي ..

_ تامر أرى أن الأمر يزداد تعقيدا .. وأنني أصبح

عبئا عليك يمكنك أن تسافر وتتركني لأرسم طريقي وحدي

_ كلارا أعرف أن الأمر صعب عليكِ ..ولكن هذا

كله لإجراءات قانونية لا أكثر

_ حسنا افعل ما تراه مناسبا

ذهبنا صباح اليوم التالي وأتممنا عقد الزواج أوصلني إلى المنزل وذهب إلى عائلته..

وأخبرني أنه سيمكث عندهم لأن سفرنا سيكون في الصباح ..

في صباح اليوم التالي جاء تامر

_أوه يا كلارا لقد تخلصت من توصيلة عائلتي لي بصعوبة كبيرة ..

_كنا سنقع بالمشاكل لو أنهم أوصلوك

_لا تقلقي لا مشاكل طالما أنني هنا

شرارة صغيرة أشعلت بداخلي ،

رجلي الآمن ..كان صوته كالموسيقى التي تحقن في القلب ،تورطت في حبه وأدرك تماما أن وصولي إلى هذا المنحدر المنهك من الحب لم يكن شيئا سهلا دفعت الكثير من الحزن والعبرات..

لأصل إلى هنا .. شيء بداخلي يقول لي ابتعدي ولكني لن أبتعد ولن أقترب سأنتظر القدر هذه المرة..

وآمل أن لا يسخر القدر مني كما يفعل في كل مرة ..
ذهبنا إلى المطار وأتممنا أوراق السفر
صعدنا إلى الطائرة وجلست قرب النافذة ..
أيعقل أنّي سأسافر ..لقد كان حلم السفر من ضمن قائمة أحلامي المؤجلة ..
ف لا يوجد متسع للأحلام في شريعة أبي ..
وبينما أنا غارقة في شرودي تردد إلى مسمعي صوت يقول "السادة المسافرين يرجى ربط أحزمة الأمان ..رحلة موفقة "
رحلة موفقة!
أرجوا لنا رحلة موفقة ..أرجو أن تكون بدايتي الجديدة مكللة بالنجاح والسعادة ..
وعندما بدأت الطائرة بالإقلاع شعرت وكأن قلبي يهبط
نظرت إلى تامر وهو منهمك بإتمام أعماله على الهاتف
تمسكت به وأنا خائفة جدا
_ما بكِ يا كلارا
_أنا خائفة جدا دعنا نعود أرجوك

_هدئي من روعكِ وحاولي النوم قليلا

_حسنا سأحاول

_ضعي رأسك على كتفي وحاولي النوم هيا

هدأت قليلا ووضعت رأسي على كتفه وماهي إلا دقائق ولم أعد أشعر بشيء حولي ..

واستيقظت بعد مدة قصيرة ،كنت أشعر بالأمان وأنا على كتفه ،راحة غريبة تغمرني بقربه

_تامر ألم نصل بعد

_سنصل بعد قليل

وصلنا بعد وقت قصير واستعددنا لمغادرة الطائرة ، وعندما هبطنا منها استقبلنا أصدقاء تامر وكان من بينهم عدة فتيات، ولكن ما أثار حيرتي هو اقتراب فتاة شقراء منه وهي تقول له (اشتقت لك)ومن ثم سألته عن تلك الفتاة التي معه وكانت تقصدني أنا ..

_روسلين إنها كارلا ابنة عمي أتت معي لتكمل دراستها هنا، أعرفك كارلا هذه روسلين حبيبتي..

وهنا تلاشت الابتسامة من وجهي وشعرت أن العبرات تكاد تخنقني ..

و لم أشعر بشيء بعد ذلك إلا وإنا على سرير لا أعرفه وتامر ينادي باسمي

_تامر أين أنا

_ هذا بيتي ماذا حصل لكِ هل أنتِ بخير ..

_بخير أظن أنني تعبت من السفر ،لكن ماذا حصل ألم نكن بالمطار

_ فقدتِ الوعي فجأة وجئت بكِ إلى المنزل

_ أعتذر أظن أنني أسبب لك المتاعب

وبينما أتحدث دخلت تلك الفتاة الشقراء إلينا ..إذا هي هنا ، شعرت أن سقف أحلامي الذي بدأ يعلوا رويدا رويدا قد تداعى وسقط فوق رأسي ،قلبي يخفق بشدة وشيء ما حبس أنفاسي ..

_أوه كارلا هل أنتِ بخير

_ نعم لا بأس بي شكرا لكِ

_العفو عزيزتي ..تامر لما لم تغير ملابسك، اذهب غير ملابسك وسأنتبه إلى كارلا ريثما تعود

_حسنا سأذهب لأجلب غداء لنا لن أتأخر يا كارلا، روسلين انتبهي لها جيدا

_حسنا يا حبيبي

ذهب تامر وبقينا لوحدنا ، ذهبت لتحضر عصيرا ومن ثم أتت لتتحدث معي

_اسمعي يا كارلا تامر لي أنا واعلمي أنني مستعدة كل الاستعداد أن أفعل أي شيء لكي لا أسمح لأحد بالاقتراب منه أتفهمين

_ما الذي تتفوهين به ..لقد قال لكِ تامر أني جئت لأكمل دراستي الثانوية هنا.. أنا متعبة جدا أرجو أن تغلقي الباب عند خروجك

احتدت ملامحها واقتربت مني وتكلمت من بين أسنانها

_ لقد حزرتك يا فتاة تذكري هذا دائما

ذهبت وطرقت الباب خلفها .. كنت أستحق هذا ..كل

ما حصل في هذا اليوم كان بمثابة صفعة من القدر فقد حلقت بأحلامي كثيرا وأرى أن سقوطي كان قويا ، قويا جدا .. ارتطمت بالأرض بقوة ولم أسمع سوى صوت انكسار قلبي وتحوله إلى أشلاء.. من أنا أمام تلك الفتاة إنها حبيبته والفتاة التي اختارها قلبه ..

كم هي محظوظة به ،ولكني زوجته وإن لم يكن زواجا حقيقيا ولكني أحب تامر ..

بدأت أفكر بغباء اهدئي كلارا من أنتِ لتكوني زوجة له ،فتاة مطلقة واحتمال كبير أني عقيم ..

و هاربة من منزل والدي ،غبية حقا

غفوت قليلا ولم أستيقظ إلا على صوت في الخارج، اعتدلت بهدوء ومشيت إلى باب الغرفة كان صوت تامر و روسلين مسموعا ..

_ أنتِ تعلمين أنني أحبك أرجو أن لا تعقدي الأمور..

_وهل ستبقى تلك الغبية هنا معك تحت سقف واحد انت لا تدرك أن هذه الفكرة تتسبب لي بالجنون

_إني مجبر على مساعدتها وهي بمثابة أختٍ لي وهي لن تتسبب لنا بأي مشاكل أرجو أن لا تعقدي الأمور

_ حسنا إلى اللقاء يا تامر أراك لاحقا

ذهبت روسلين وعدت إلى السرير لكي لا يعلم تامر أنني استمعت إلى حديثهم ، فُتح الباب ودلف تامر إلى الداخل اقترب بهدوء وبقي ثابتا دون حراك لمدة ليست قصيرة ،لم أعلم بما كان يفكر، هل ياترى كان يفكر ماذا سيفعل بهذا البلاء الذي وقع فوق رأسه والذي هو أنا..

أشعر أحيانا وكأنني قنبلة موقوتة أنفجر لأملأ حياة من حولي بالبؤس والشقاء .. أو سم خطير أنشر المشاكل في كل مكان وأتصرف بغباء ..

اقترب مني وشرع في إيقاظي

_كارلا هيا استيقظي لتأكلي

_ تامر ،متى عدت

_ منذ قليل هيا تعالي

_أين روسلين

_ لقد ذهبت إلى منزلها

_حسنا.. هل يمكنني أن أطلب شيئا منك

_تفضلي

_نادیني كلارا عندما نكون لوحدنا إن كان هذا لا يزعجك

_كما تريدين

مرت عدة شهور وأنا أدرس استعدادا لامتحان الثانوية لم أرى روسلين في تلك المدة سوى مرات تحصى.. أبعدت كل المشاعر والأفكار المشوشة من رأسي وكانت الدراسة تشغل الحيز الأكبر من وقتي وتفكيري .. في تلك المدة أدركت أن مسؤولية الدراسة أصعب من أي مسؤولية .. ف عندما ندرس نكون مسؤولين عن النجاح أمام أنفسنا وأمام كل من يهمنا .. وعندما ندرس فنحن لا نملك أي خيارات .. فإما النجاح أو النجاح ..

كان تامر كثيرا ما يتركني وحدي في المنزل ليهيء لي الجو الملائم للدراسة بتركيز..

انقضت المدة وأنهيت الامتحان لم يكف تامر عن مساعدتي طوال تلك المدة وفي يوم النتائج كان التوتر والخوف هما سيدا الموقف .. كنت أنتظر ان تظهر أمامي حصيلة تعبي في تلك المدة ..

وكان تامر يساندني في ذلك الوقت ويخفف عني توتري

_كلارا اهدئي

_حسنا حسنا

_اوه كلارا ما هذا

_ماذا يا تامر

_ راسبة!

أوصدت الأبواب في وجهي لا لا انا اسمع شيئا خاطئا ماذا يقول هذا الرجل..

شعرت أن آخر أمل لي في حياتي قد دفن .. لم يحصل كل هذا لي ما الفعل الشنيع الذي ارتكبته لأعاقب عليه

بهذا الشكل ..

_ كلارا أين سرحتي ناجحة ناجحة كنت أمزح

_ أوه تامر أيها الغبي سأقتلك هل تظن أن هذا يحتمل المزاح

_حقا أعتذر .. أرى أن قطتي بدأت تنمو لها أنياب

احمرت وجنتاي قال قطتي كم أحب هذا الرجل ..

جاءه اتصال وذهب يتكلم في الخارج

بينما كانت أفكاري محصورة بنجاحي ..

لم أصدق

أنني حقا نجحت بعد عناء شديد ، قاطعني من شرودي صوت تامر

_كلارا صديقي قام بدعوتي لحفل في المساء لأن أخته نجحت أيضا و أريد أن آخذكِ معي ..هل تقبلين

_ حسنا ولكن هناك مشكلة ..ماذا سأرتدي

_ هذه ليست مشكلة هيا الآن ابدئي بتجهيز حاجاتك

ريثما أحضر لكِ ما ينقصكِ
ذهب يجري اتصالا آخر وعاد يخبرني أنه سيرحل الآن لأن روسلين تريده .. وسيعود في المساء ليأخذني إلى الحفل ..
ظننت أنه نسي أن يحضر لي ما أريده ..
غلبتني العبرات و انسالت على وجنتي جلست وأنا أبكي وإذ بالباب يطرق ..

_ من على الباب
_ أنا يا سيدتي لقد أرسلني السيد تامر
فتحت الباب وإذ بفتاة تدخل إلى الداخل
_هيا لا وقت لدينا
_من أنتِ
_مسؤوله التجميل سأصفف شعركِ وأضع لكِ المساحيق كما و أوصاني تامر بأن أجلب لكِ الثياب أيضا هيا تعالي

بدأت بتجهيزي إلى أن عاد تامر في المساء ويبدو عليه الضيق

_ سيدة كارلا عاد السيد تامر، كيف حالك سيد تامر

أظن أنني أنهيت عملي إلى اللقاء..

ذهبت ووقف تامر متفاجئا اقترب مني جدا كان ينظر في عيني مباشرة

_ تامر

_لا تتكلمي

أصبح قريبا جدا ارتطمت بالجدار وحاصرني بين ذراعيه

_تامر هل أنت بخير

_أنتِ جميلة جدا ،عيناكِ الخضراوتان بهما سحر غريب

اقترب من وجهي ببطء ووضع قبلة على وجنتي ، لم أستطع فهم ما يحدث هل هذا تامر، كان غريبا جدا لم استطع إبعاده وقفت ساكنة دون حراك كنت متفاجئة جدا ،

عندما ابتعد عني لم أعلم من أين أتتني القوة رفعت

يدي وقمت بصفعه

_ أنتِ تحبينه لماذا فعلتِ هذا

_ لأنها كانت لحظة ضعف منه لا أكثر ،كيان لقد تعبت سأكمل لاحقا

_ حسنا إلى اللقاء وأعتذر على التطفل في هذا الوقت أنا طبيبة فضولية

_لا يا عزيزتي وستمكثين الليلة عندي

_وماذا بشأن زوجك

_آه زوجي إنه آه صحيح إن زوجي مسافر في عمل هيا تعالي لنحضر الطعام سأكمل لكِ ما حدث بعد العشاء

أنهينا تحضير الطعام وجلسنا لنأكل وما إن أنهينا طعامنا قمنا بتحضير كوبين من القهوة وجلسنا لنكمل ما حدث ..

بعدما صفعته كان متفاجئا جدا ومن ثم بدأ يعتذر

_كلارا أنا .. أنا أعتذر جدا .. كلارا تكلمي انسي ما حدث أرجوكِ

يقول لي أن أنسى .. كيف أنسى !

وللهِ ما أُبعده عني كرها

إنّما في إبعاده عني أزداد حبا فوق حبي

وكلّما ابتعد أكثر تضاعف الشوق والحب أكثر ف أكثر

ويطلب مني أن أنسى

كيف أنسى !

وهل مثله يُنسى

هل يُنسى !

أراه لم يلتفت لي

لم ألفت نظره أبدا !

ولم أحرّك ساكنا به

كما فعل هو بي

ف قد باتت كل خليّة في جسدي،

تنطق ب حاجتها إليه

أحتاج بعض الفرص
والكثير الكثير من القرب
ف حاجتي له اجتاحت عنان السماء والأرض
وبُتُّ أحلق ب الأفق
راجية أن تلامس روحي أطراف روحه
وأصرخ من شغاف قلبي
أرجوك التفت
فقط التفت .. ولكنه يطلب مني أن أنسى ..
إذا سأنسى..
_دعنا نذهب سنتأخر
دخل إلى غرفتي وجلب وشاحا وغطى يداي به
_هكذا أفضل هيا لنذهب
كنت طوال الحفل أتحاشى النظر إلى عينيه ،
أتى أحد أصدقائه يرحب بنا وراح يعرفني به
_كارلا هذا صديقي زياد، زياد هذه كارلا إحدى صديقاتي

_ تشرفت بمعرفتك كارلا

_وأنا أيضا شكرا لك

_إذا ،هل تسمحين لي برقصة قصيرة

نظرات تامر تبدلت إلى حمم بركانية ونظر إلي .بحدة

تجاهلت نظراته وقبلت طلب زياد ..

_ كارلا ماذا تدرسين أنا محامي ولدي مكتب خاص بي

_أتمنى لك التوفيق ،لقد نجحت بالثانوية اليوم لا أدري

ماذا سأدرس بعدها

_أتمنى لكِ التوفيق أيضا ،لكنكِ تبدين أكبر من أن

تكوني بالثانوية

توترت قليلا من سؤاله وفي تلك الأثناء أتى تامر وأمسك بي

_ هل تسمح لي بها يا زياد

_ مؤكد يا تامر إلى اللقاء كارلا تشرفت بمعرفتك مرة

أخرى

_إلى اللقاء زياد

أخرجني تامر من الحفل صحيح أنه كان غاضبا جدا

ولكنه كان يبدو جميلا جدا بحاجبيه المقتضبان وعروقه البارزة..

_ إلى أين

_ سنعود إلى المنزل كلارا

كان يستشيط غضبا لم أحاول أن أجادله .. دخلت إلى غرفتي وهممت بإغلاق الباب لكن يد تامر منعتني

_ماذا تحاولين أن تفعلي ما هذه التصرفات

_أي تصرفات، ماذا دهاك تامر

_أنتِ فتاة متزوجة اتفهمين .. متزوجة

بأي حق ترقصين مع زياد

_متزوجة ممن ها قل لي

_أنا زوجك يا سيدة

_على الورق يا تامر ماذا يحصل لك لا تحاول أن تتحكم بي أرجوك وأرجو أن تلغي عقد الزواج إن كان سيسبب لنا المشاكل

_ما رأيك أن أجعل هذا الزواج حقيقيا والآن

_تامر لماذا تتصرف بغرابة أنسيت روسلين أخرجني من حياتك إن كنت أسبب المتاعب وأكمل طريقك معها

_أنتِ غبية أنتِ لا تفهمين حقا طفلة وغبية جدا

_ أجل أنا غبية دعني أنام الان هيا لم تعد لدي القدرة على الجدال معك

خرج من الغرفة وهو في أعلى مراحل غضبة تصرفاته في المدة الأخيرة تربكني

تشعل قلبي أرقا ، ماذا دهاه ،بم يفكر ياترى !

أخرجت هاتفي الذي قام تامر بإعطائه لي وإذ بعشرات الاتصالات من رقم مجهول عاودت الاتصال بالرقم وجاءني الرد

كان صوتا مألوفا بالنسبة لي

_روسلين صحيح

_نعم روسلين

_ماذا تريدين

_ماذا فعلتي لتامر لقد تغير إن علمت أنكِ وراء الموضوع سأجعلك تندمين لأنك ولدت

_هل تظنين أنني لست نادمة اغربي من هنا روسلين ليس لدي طاقة للجدال

_اسمعي أنتِ بشعة جدا لن ينظر تامر لكِ وإن حاول وتقرب منكِ ستكونين نزوة من نزواته وسيرمي بكِ عندما تعود المياه بيننا إلى مجاريها

استفزتني بكلامها واستجمعت كل طاقتي لأتفوه بما سأقوله، فكرت مليا ولكن كبريائي لم يسمح لي بإعطائها فرصة لتحطيمي أكثر، قدرة رهيبة جعلتني انطق

_ روسلين عزيزتي أنِت النزوة فأنا ابنة عمه، وكيف لي أن أكون نزوة إن كنت بالإضافة لهذا زوجته..

صمت مخيف عقد لسان روسلين لم اسمع سوى صوت أنفاسها الملتهبة كالبركان

_ كاذبة ساذجة ماذا تقولين

_ اسألي تامر عزيزتي لا داعي للنقاش أكثر
فور إغلاقي الهاتف شعرت أنني فتاة ساذجة وأنانية ، أعلم أن تامر يحبها كيف أتجرأ وأفصح عن زواجنا الكاذب،
وبعد قليل سمعت صوت تامر يعلو وهو يقول
_من قال لكِ هذا .. نعم صحيح كارلا زوجتي هل تمانعين الأمر .. أجل أجل إلى اللقاء
فُتح باب غرفتي بقوة ودلف تامر إلي
اقترب وهو يتكلم بهدوء عكس العاصفة التي تسببت بها أنا بغبائي ..أعلم أنني تصرفت ب غباء ولكن المرء عندما يحب يصبح مغفلا ولا يوجد قانون يحاسب المغفلين
_هل أنتِ من أخبرتها ؟
_نعم ..تامر أنا أعتذر أرجوك اسمعني
_هل أنتِ من قلتِ لها ؟
_أجل انظر دعني أشرح الأمر

_نتكلم لاحقا

غادر الغرفة بهدوء تام حاولت النوم كثيرا لكن بكائي غلبني ، تجرأت وذهبت إلى غرفة تامر

طرقت الباب ولم يأتني صوته، فتحت الباب ببطء

ودخلت كان جالسا يقرأ كتابا وهو شارد الذهن

_تامر

_.....

_تامر أرجوك

_نعم

_أنا أعتذر

_لا داعي لهذا ..تجاهلي الأمر

_تامر أنا غبية وحمقاء ألغي عقد الزواج وأرسلني إلى عائلتي أنا أستحق كل ما سيحصل لي

_لا تتكلمي هكذا اذهبي للنوم وحسب

_تامر أنا ألوم نفسي جدا أرجوك حاول سماعي

_تكلمي

أخبرته بالحديث الذي دار بيني وبين روسلين

_حسنا كلارا إن روسلين ساذجة بعض الشيء ..انسي ما حصل واخلدي إلى النوم ..أعتذر عما قالته روسلين أنتِ جميلة جدا لا تتأثري بما قالته

_لا يهمني كلامها ،هل أنت راضٍ الآن

_أجل نامي وأنتِ مطمئنة

_ليلة سعيدة

_ولكِ أيضا

هل حقا هو راضٍ لم أشعر أنه حزين هل من المعقول أنه لا يحب روسلين ..نعم أريد أن لا يحبها .. أريد أن يحبني وحسب ..

أمسكت قلما ودفترا صغيرا ورحت أدون ما يحتاج قلبي قوله ..

"بعيدة أنا كل البعد عنك ..رغم قرب المسافة إلا أن هناك مئات الحواجز بيننا مللت هذا البعد ، مللت من وأد مشاعري في التراب ..

هل يمكنك أن تخبئني بداخلك ،أن تسد فراغ قلبي بكلتا ذراعيك أحتاج إلى حضنك الدافئ ..
كيف يمكنني إخبارك بأنني أحبك بطريقة لا تبدو عادية
هل يمكننا الاقتراب فإني لم أعد أطيق هذا البعد.."
نمت في تلك الليلة والعبرات تكاد تخنقني

شعرت بشعور غريب أشتاق لأبي رغم كرهي له
ورغم ظلمه لي إلا أنني شعرت بحاجتي لوجود رجل في حياتي ..
بقي الوضع متوترا بيني وبين تامر كانت أحاديثنا لا تتجاوز بضعة كلمات .. وبعد عدة أسابيع كنا نجلس صامتين عندما كسر تامر حاجز الصمت بيننا

_استعدي غدا

_هل قررت

_ماذا سأقرر

_أن تعيدني إلى عائلتي

_لا تفكري بغباء

_إذاً ماذا

_سنذهب لكي تسجلي بالجامعة ..ماذا تريدين أن تدرسي

_حقا ، أريد أن أدرس الحقوق إن كنت تريد

_أوافق إن كان هذا سيجعلك سعيدة

_شكرا تامر لا أعلم كيف أرد معروفك لي

_لا تقولي هذا إنه واجبي

_تامر .. كيف حال روسلين

_بخير .. ستتزوج إحدى أصدقائنا

_آمل أن لا يكون هذا بسببي

_لا تفكري بالأمر

_كما تريد

_سأخلد إلى النوم

_حسنا ليلة سعيدة

عدت إلى أوراقي ،كنت أنثر حبي لتامر حبرا على الورق ..

"إلى أين سأصل ياترى ..هل سيفقدني هذا الحب صوابي أم أنه أفقدني إياه حقا لا يمكنني التراجع ولا حتى التقدم .. في المنتصف المميت تماما ،أفقدتني عقلي يا تامر ،بدأت اتكلم مع نفسي ..

سمحت لي بدراسة الحقوق ،

هل يمكنك أن تقدم لي حقوقي كأنثى تعشقك بأن تبادلها هذا العشق ، أشعر أنني ثملة ،مشاعري تتدفق فتكاد تودي بي إلى الغرق أكثر ..

غارقة أنا بك ولا سبيل لإنقاذي منك سوى أنت

أركض لاهثة بحثا عن شيء لا أعلم ما هو

كل ما أعلمه أنه يتوجب علي الركض .. بلا وجهة ولا هدف

فقط علي الركض علني أجدك في نهاية الطريق .."

_أنتِ رائعة

_شكرا كيان ،ما رأيك أن ننام الآن ..

_حسنا نكمل في الغد .. هل تبقى الكثير

_ليس الكثير ولا القليل

_أحب غرابتك يا فتاة

_صدقيني أنا أكرهها

مكثت تلك هذه الليلة في منزل كيان

منزل صغير متواضع لا أشعر أن به لمسة رجولية

هل بقيت متزوجة من تامر ياترى أم أنها متزوجة من رجل آخر ..

أحيانا أشعر أن كلارا تكذب بموضوع زواجها وأنها غير متزوجة ..

أعرفها منذ وقت ليس طويلا

ولكني لم ألاحظ وجود رجل بحياتها البتة

خلدت في نوم عميق .. وما إن نثرت الشمس خيوطها حتى تداخلت إلى حواسي رائحة القهوة الشهية

_ما هذه الرائحة الشهية ياكلارا

_صباح الخير هيا تعالي لنحتسي القهوة

_يبدو أنكِ نشيطة اليوم

_أجل نوعا ما

_أظن أن هذا النشاط سببه مكالمة صباحية من زوجك

_آه زوجي .. أجل صحيح زوجي إنه .. إنه السبب ارتباكها يجعل شكوكي تتحول إلى حقيقة ..

_إذا هل نكمل

_نعم سأبدأ

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوت نقرات على الباب

_نعم نعم لقد استيقظت ياتامر

_صباح الخير هيا انهضي كي لا نتأخر

_ولكن الوقت مبكر

_أنسيتي الجامعة

_صحيح سأرتدي ملابسي وأخرج انتظرني

خرجنا من المنزل وذهبنا لإتمام أوراق تسجيلي بالجامعة بعد انتهائنا لاحظت أن تامر لم يذهب في طريق المنزل

_إلى أين سنذهب

_ألا تشعرين بالجوع

_نعم قليلا

_إذا هيا تعالي

خرجت من السيارة وكان تامر قد سبقني إلى كشك صغير أمام شاطئ البحر

طلب لنا سمكا مشويا وأتى

_أنا أحب السمك جدا

_أعلم

_كيف تعلم

_عندما كنتِ صغيرة كنا نسرق السمك من المشواة ونأكله سويا

_صحيح تذكرت .. كم كنا أشقياء

جلسنا وتناولنا الطعام وبعدما انتهينا قام تامر بحملي ورميي في البحر ثم لحق بي

_تامر ..تا .تامر لا أجي. لا أجيد السباحة

_أعتذر لم أكن أعلم تمسكي بي جيدا

تمسكت به وبقينا نسبح لوقت ليس بقليل بعد ذلك

خرجنا من الشاطئ مبللين الثياب حملني تامر وركض بي إلى السيارة وعدنا إلى المنزل ونحن بقمة سعادتنا

دخلنا إلى المنزل وقبل أن يبدأ كل منا بتغيير ثيابه سمعنا الباب يطرق وذهبت وقمت بفتح الباب وإذ بروسلين تقف أمامي

_من على الباب كلارا

_إنها أنا ياتامر .. ومن هي كلارا تلك ، أليست كارلا أم أنك تغازلها .. اوه جميل ثياب مبللة .. سأتزوج سامر .. أجل سأتزوج كنت أحسب أنك ستتأثر ولكن يبدو أن هذه الفتاة أخذت كل تفكيرك

_روسلين .. أتمنى لكِ حياة سعيدة مع سامر

_لحظة روسلين اسمعي

_كلارا اتركيها ولا تتدخلي

_أجل لا تتدخلي ..إلى اللقاء

ذهبت روسلين وركضت أنا إلى تامر

_تامر لما لا تنهي هذا كله لما لا تعيد روسلين وتمنعها من الزواج

_اهدئي وغيري ثيابك

_ماذا دهاك تامر

_كلارا قلت اذهبي وغيري ملابسك

ما هذه الغرابة التي أصابت تامر أين الحب الذي يكنه لروسلين .. لما يفعل كل هذا

تصرفاته تزيد شعوري بالغرابة وتزيد حيرتي ما الخطأ الذي ارتكبته روسلين حتى تصل علاقتهم إلى هذا المنحدر المهلك

_كلارا هل انتهيتِ

_أجل

_تعالى لنشاهد فيلما

فيلم !أنا وتامر ماذا أصاب هذا الرجل فجأة أيعقل أنه

يحاول أن يملأ وقته بي ليتناسى روسلين
أرجو أن لا يكسر قلبي بعد كل هذا
_حسنا قادمة
جلسنا نشاهد التلفاز معا كان الفيلم كوميديا جدا ارتفعت أصوات ضحكاتنا إلى أن شعرت اننا أسعد شخصين في هذا العالم ،وبينما نحن نشاهد الفيلم غفوت بلا أن أشعر ولم أستيقظ إلى عندما وصل إلى مسامعي صوت تامر وهو يدندن مع عبد الحليم حافظ
"بحياتك يا ولدي امرأة عيناها سبحان المعبود"
_صباح الخير أرى أن مزاجك جيد اليوم
_بل ممتاز ،هل أعجبك النوم على الأريكة
_أشعر أنني محطمة ،أرجو لك السعادة الدائمة برفقتك
_نعم!!
_أقصد وأنتِ أيضا .. هيا تجهزي سنذهب إلى زياد لكي يحدثك عن الحقوق

_حسنا ..ما رأيك أن تعد لنا القهوة قبل أن نذهب

_وما رأيك بالقليل من الكعك أيضا

_لما لا

_وهل أنا خادمك أيتها السيدة .. أنتِ تأمرين سيدتي

يرعبني هذا التغير المفاجئ أشعر وكأن ثمة شيء غريب وراء هذه المعاملة .. أرجو أن يكون هذا التغير نابعا من قلبه أرجو أن لا أصدم ..

هذا التغير يربكني ويجبرني على التحليق ..

يخلق لي أجنحة تجعلني أحلق عاليا .. ورجائي هذه المرة .. كل رجائي أن لا أقع

لأنني وإن وقعت هذه المرة فإني سأخسر أجنحتي سأبترها وأدفنها .. لكي لا أعاود التحليق مجددا

_هيا كلارا ليس لدينا اليوم بطوله

_أنا قادمة هل أنهيت تحضير القهوة

_أجل تعالي هيا

_شكرا لك .. لذيذة جدا

_العفو .. هيا أسرعي إن زياد بانتظارنا
أنهيت قهوتي وذهبنا إلى مكتب زياد .. كان زياد لبقا جدا بالتعامل وحدثني عن الحقوق بشكل بسيط وممتع
_تقصدين زياد أخي صحيح
_أجل ياكيان
_اوه جيد ..أكملي
بعد أن انتيهنا أعادني تامر إلى المنزل وذهب ليتم أعماله

حل المساء وعاد تامر وهو منهك .. كنت قد انتيهت من تحضير الطعام
_كيف حالك كلارا
_بخير هيا تعال لكي نأكل
_وبينما نحن نأكل تلقى تامر اتصالا من روسلين
_نعم روسلين
_تامر أنا أحبك أهئ أحبك جدا

_روسلين هل أنتِ ثملة
_تتركني من أجل تلك الغبية أنا أكره هذا الغبي سامر أهئ أرجوك عد لي
_روسلين لما عدتي لشرب هذه السموم
_كيف سأنساك ها قل لي أهئ ..لا أستطيع إخراجك من رأسي تامر أهئ ..
_كفي عن هذا وأغلقي بسرعة ..أنتِ من اخطأت وعليكِ دفع الثمن لا تتصلي مجددا

أغلق الهاتف وذهب إلى غرفته دون أن يتفوه بكلمة ما الخطأ الذي تكلم عنه ..
بالرغم من أنني لا أحب روسلين ولكني أحزن عليها كثيرا، نمت تلك الليلة وأنا أفكر بكل ما جرى في حياتي كيف حال أمي يا ترى اتشتاق إلي أم أنها لا زالت أما غير مبالية ..
وأبي .. هل تغير أم مازال قاسيا وجبارا

تراودني فكرة العودة
رغم كل الغباء الذي تحمله تلك الفكرة إلا أنها تراودني باستمرار ..
لكن أي عودة تلك !
إني إن حدث وأقدمت على هذه الخطوة أعلم في غرارة نفسي أن أبي لن يرحمني ..
استيقظت صباح اليوم التالي لأبدا دراستي في الجامعة
حضرت فطورا خفيفا وذهبت لإيقاظ تامر
طرقت الباب عدة مرات ولم أسمع جوابا ..
استجمعت قوتي ودخلت إلى الغرفة ، كان تامر غارقا في نوم عميق اقتربت من سريره رويدا رويدا
وسرحت في ملامحه
شعرت وكأنني أراه للمرة الأولى
ياله من وسيم .. ينام كالطفل الصغير الذي قضى يومه بالمشاكسة
_تامر .. هيا تامر استيقظ

_اتركيني أريد النوم

_تامر سنتأخر

_صباح الخير .. لما أنتِ جاهزة هكذا

_أنسيت الجامعة

_صحيح سأرتدي ملابسي وآتي

بعد قليل خرج تامر وهو بكامل أناقته

_امم إذا لنرى ماذا أعدت لنا طفلتي الصغيرة

_لست طفلة ياتامر

كان تامر يكبرني بثلاثة عشر عاما لذا فإنه كان يراني كالطفلة ..

أشتاق لعائلتي كثيرا رغم سوء معاملتهم

أشعر بحاجة لأبي .. كان علينا أن نتحدث فقط .. أن يصارح كل منا الآخر .. كان علي فهم لما كان أبي يكره البنات ولما أجبرني على زواجي من أحمد ..

كان على أبي أن يسألني عن سبب رفضي لأحمد ولكن ليس كل ما نريده نحصل عليه او بمعنى آخر ..

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..
ليتني ما هربت .. ليتني ما ابتعدت عن واقعي ،أشعر أنني عاجزة عن رسم واقع خاص بي لو أنني حاولت الغوص لأعماق أبي لأفهم سبب قسوته التي رافقته طوال حياته . .
_ولكن ياكلارا قلتِ أن أباكِ لم يحبكِ يوما إذا لما اشتقتِ إليه
_الحنين ياكيان .. شعور الفقد يجعلك تشتاقين حتى للقسوة .. الوحدة والغربة التي كنت أعيش بها ..
جعلتني أشتاق حتى لأقسى طِباع أبي .. أدرك أن أبي لم يكن يوما أبا جيدا ..
ولكنه لم يكن سيئا أيضا .. ربما كانت معتقداته هي السبب .. أو ربما ظروفه التي كبر وترعرع برفقتها هي السبب ..ولكني أدركت بعد غيابي عن عائلتي بأن الفتاة لا تساوي شيئا بلا عائلتها ..
انهينا فطورنا وأوصلني تامر إلى الجامعة ثم ذهب

لعمله..

كان أول يوم جيدا بعض الشيء ولكني كنت أشعر بشعور غريب .. خنقة في صدري لا أعلم مصدرها ، أتى تامر في نهاية الدوام ليعيدني إلى المنزل

_ كيف حالك يا تامر

_ بخير..

كان شارد الذهن مقتضب الوجه ..

_تامر ما بك

_نتكلم عندما نصل يا كلارا

كانت تلك الدقائق من أصعب الأوقات التي مرت في حياتي لم أعتد على صمت تامر وشروده..

وصلنا إلى المنزل وشرع تامر بالكلام

_كلارا انظري أريدك منكِ أن تتمالكي أعصابك حسنا

_تامر ماذا حدث

_اسمعي ..في الحقيقة لقد اتصلت بي أمي اليوم وأخبرتني أن ...

_ أن ماذا هل حصل شيء سيء
_إن أباكِ توفي مساء البارحة ..
بقي صدى جملته يتردد في مسمعي صفعة أخرى من القدر.. بالوقت الذي كنت أفكر فيه بأن اصلح علاقتي مع أبي وعائلتي ترك والدي العائلة وذهب..
_ ماذا تقول لا لا ارجوك ..
_كلارا كوني صبورة أرجوكِ تمالكي نفسكِ
_ سأعود الآن سأعود هيا أعدني الآن هيا .. أين رحل أبي قبل أن يسامحني .. أي ذنب هذا الذي ارتكبته لأعاقب عليه بهذه الطريقة
كنت أبكي وكأني أخرج حزن كل السنوات التي مررت بها .. كل ما أردته هو أن أنام لعلي عندما اصحو أجدني في مدرستي وبين رفاقي ..وأجد كل شيء كما كان في السابق ..
_تريدين العودة .. تعتقدين أن أمك ستستقبلك بالأحضان إن أباك مات وهو غاضب منكِ .. لن

تسامحك أمك في هذا الوقت الحساس ..

_ تامر أريد أن أنام

_كلارا لا تفعلي هذا بنفسك

_تامر لا أريد سوى أن أخرج من العالم قليلا .. أريد أن أنام فقط..

_ حسنا كما تريدين

وفي غرفتي وقفت أمام المرآة .. من هذه التي تقف أمامي.. هالات سوداء تشكل ثقوبا سوداء حول عيني وجه شاحب.. وشعر متساقط..أيعقل أنني أوصلت نفسي إلى هنا .. أيعقل أنني ارتكبت في حياتي ذنبا وسأقضي كامل حياتي وأنا أعاقب عليه..

وما إن وضعت رأسي على الوسادة حتى انهالت العبرات على وجنتي ، وارتفع صوت بكائي إلى أن أصبحت أصرخ بطريقة هستيرية ..

جاء تامر إلي مسرعا

_كلارا اهدئي اسمعيني.. لا تفعلي هذا بنفسك

_أنا السبب أنا من أوصلت نفسي إلى هنا .. كل ما يحصل الآن بسببي .. أنا لعنة ابدية .. أنا أسوء فتاة في هذا العالم

أقترب مني وأمسكني بيديه وهو يحاول تهدئتي وأنا لا أستجيب لأي شيء ..

أحكم امساكي وضمني بين ذراعيه وهو يمسح على راسي

_ كنت أريده أن يسامحني كنت أطمح أن أرى منه حنان الأب الذي يحكى عنه بالقصص ..

لما رحل قبل أن نتكلم، لما رحل قبل ان نحل مشاكلنا

_اهدئي أرجوكِ لا يمكنكِ أن تفعلي شيئا هذه مشيئة الله هيا حاولي النوم الآن .. سأتركك لكي تنامي ولا أريد أن تبكي مفهوم ..

_سأحاول .. شكرا لك تامر

خرج وتركني أصارع أفكاري من جديد لم يكن موت

أبي مؤلما بقدر ما كانت فكرة موته دون أن يسامحني ويفهمني مؤلمة لي ..

أدرك أنني لم أخطئ عندما هربت .. ولكني أدرك أيضا أنني تصرفت دون تفكير عندما هربت أفكر الآن ما السبب الذي سيجعلني أبقى هنا..

هل يجب أن أعود إلى أمي أم علي البقاء هنا .

نمت ذلك النهار ولم أستيقظ إلا عند حلول المساء

_ تامر أنت هنا

_أجل أنا هنا.. كيف حالكِ الآن

_لا بأس

_انتظرتك لكي نأكل سويا هيا تعالي

أجبته بوهن شديد

_ لا شهيه لي لأن آكل

_ كلارا تعالي الآن

_تامر أرجوك

_ولا كلمة تعالي هيا

حاولت أن أتناول القليل من الطعام.. وبعد انتهائنا تحدثنا قليلا عن الجامعة واخبرته أنني لن اذهب في اليوم التالي ..

_كلارا انظري أنتِ الآن تبنين نفسكِ وذاتكِ أعلم مدى حزنكِ الآن ولكن هذه هي الحياة عليكِ أن تستمري لكي تصلي إلى ما تطمحين إليه هذه العقبة الأولى حاولي أن تتخطيها بلا أي خسائر ..

ولا تفكري بالعودة، لأنكِ لن تتلقي سوى النبذ والكراهية من كل شخص هناك ، اصنعي ذاتكِ واستمري في رسم طريق حياتك..

أريد أن يأتي ذلك اليوم الذي أصبح به فخورا بكِ وكأنكِ ابنتي..

ومضى عامين على وفاة أبي كنت أدرس الحقوق بكل جد وتفوق.. وكان تامر الداعم الدائم لي

وفي أحد الأيام وبينما أنا في إحدى المحاضرات، شعرت بدوار شديد ولم اشعر بعد ذلك بشيء إلا

وأنا في إحدى المشافي..

_ أين أنا ماذا يجري

ردت إحدى الممرضات

_أهلا عزيزتي سأخبر الطبيب باستيقاظك

لم أفهم ما يجري من حولي كان رأسي يؤلمني بشدة تجعلني لا أقوى على التفكير بشيء

_أهلا يا..

_ كلارا أيها الطبيب اسمي كلارا

_لا أعلم لما أخبرته باسمي الحقيقي.. ولكني لم أكترث كثيرا للأمر

_ كيف تشعرين الآن

_إن رأسي يؤلمني بشدة أشعر أنه يكاد ينفجر

_حسنا يا كلارا .. أريد أن أخبرك الآن بشيء وآمل أن تكوني صبورة ..

_ هل هناك شيء خطير أيها الطبيب !

_في الحقيقة ليس خطيرا جدا ما زلتي في البداية

لكن عليكِ ملاحقة الأمر .. هناك كتلة سرطانية في رأسك ويجب علينا أن نبدأ العلاج بالجرع الكيميائية وأظن أننا يمكننا إجراء عملية لكِ لاستئصالها ولكن نسبه نجاحها متوسطة وإجراء عملية كهذه سيكون على مسؤوليتكِ الخاصة ..

عدت إلى المنزل وأنا أشعر بأن الموت يحلق حولي.. شعرت أنه يحيط بي من كل مكان وكأن الأرض لم تعد قادرة على حمل لعنة مثلي فوق سطحها ..

_ هل يمكنني أن أفهم سبب تأخرك

_ أعتذر يا تامر جلست أدرس في مكتبة الجامعة وسرقني الوقت دون أن أشعر

_حسنا لا بأس .. كنت أنتظركِ على الفطور سآكل وأخرج إلى العمل

_ حسنا آسفة على تأخري

جلست أتناول الطعام وأنا شاردة الذهن كان جسدي حاضرا ولكن عقلي كان في مكان آخر تماما

انهينا فطورنا وذهب تامر إلى عمله ، شعرت بخنقة شديدة و قررت أن أذهب إلى تامر واخبره بقصة مرضي وأعترف له بأنني أحبه لعلي ألقى أياما جميلة قبل موتي..

وصلت إلى الشركة التي يعمل بها تامر وكان مكان موظفة الاستقبال فارغا ، وقبل أن افتح باب مكتب تامر سمعت صوته وهو يحادث أحدا

_ لم أعد أحتمل هذا أنا وهي في منزل واحد وتحت سقف واحد وهي زوجتي على الورق فقط ،

عندما تركت روسلين تأملت أن تتحسن حياتي ولكن لم يتغير شيء.. إلى متى سأبقى احتمل هذا الوضع أريد أن أعيش حياة طبيعية أريد أن أبني عائلة وهي لا تفهمني ولا تحاول أن تفهمني حتى ..

تراجعت قليلا وانعدمت رؤيتي بسبب الدموع التي علقت في عيني

ذهبت إلى المنزل وبقيت أبكي لمدة ليست بقصيرة

بات وجودي مزعجا .. كيف لم أفكر في الأمر من قبل كيف لم أفكر أن وجودي يشكل عائقا في وجهه ووجه سعادته ..

في المساء حضرت أطباقا عديدة من الطعام وجلست أنتظر تامر..

_ أوه ما هذه الرائحة الشهية

_ أهلا يا تامر غير ملابسك وتعال لناكل ..

وفي الليل شعرت بألم يكاد يمزق خلايا رأسي هجرني النوم وبقيت مستيقظة لمدة طويلة ولم أرى نفسي إلا وأنا أطرق باب غرفة تامر

_ما بك كلارا هل أنتِ مريضة

_هل يمكنك أن تحتضنني

_هل أنتِ بخير

_ تامر أرجوك

_ولكن ..كلارا أنتِ لا تفهمين الأمر

_ تامر .. أنا متعبة حقا

_تعالي إلي
ركضت إليه وتمسكت بعنقه وأنا أضمه بكلتا يداي ..
بادلني العناق وبقينا دقائق عديدة على تلك الحال
_تامر ..
_...
_أحبك
_كلارا
_تامر أنا حقا أحبك
_بدأتي تفهمين الأمر .. بدأتي تكبرين ..
تلك الليلة نمت وأنا بين ذراعي تامر.. وكنت أنوي أن أفعل كما فعلت في بداية قصتي
_الهرب !!
_أجل يا كيان الهرب
_ لماذا !لقد أخبرته بحبك له ..
_ لطالما طمحت بحياة جديدة ..مسار أخط شكله بنفسي خطوة تلو الأخرى .. لكني لم ألقى سوى

التشتت ، التشتت والضياع ماضٍ ممزق ..
وحاضر مجهول مبهم ، وأشلاء أحلام مبعثرة
طمحت بتكوين ذاتي ولكني بكل مرة كنت لا أفعل
شيئا سوى الهرب..
كنت كلما واجهني عائق في طريقي لا أبعده بل
أبعد نفسي عنه بالهرب
صوت بداخلي يأمرني بالابتعاد..
لطالما حاولت التعايش مع واقعي ولكن ثمة شيء
كان يخبرني بأن هذا ليس مكاني هذه ليست حياتي
وهذه ليست أنا ..
استيقظت صباح اليوم التالي وانا مستلقية بجوار تامر
كان نائما كالملاك اختنقت بالعبرات وأنا أتخيل فكرة
ابتعادي عنه نهضت بهدوء لكي لا أوقظ تامر
وضبت حقيبة ضهرية متوسطة الحجم ووضعت بها
القليل من الأشياء التي قد أحتاجها ..و أخذت بطاقتي
الشخصية الحقيقية والأخرى المزورة

خرجت من المنزل بحذر شديد وأصبحت أجوب شوارع المدينة التي لا أعلم عن شوارعها شيئا سوى القليل

أول خطوة لي كانت البحث عن عمل ، توقفت أمام فندق صغير لأسأله إن كان بحاجة إلى موظفة أو شيء من هذا

_مرحبا .. هل يمكنني مقابلة مدير هذا الفندق

_أهلا بكِ سيدتي أجل تفضلي بالجلوس لأرى إن كان غير مشغول

_شكرا لك ..

تفضلي المدير ينتظرك

_مرحبا . في الحقيقة كنت أود سؤالك إن كان فندقكم بحاجة لموظفة أو ...

أجابني بمقاطعة

_أوه مادموزيل أهلا وسهلا بكِ نعم بكل تأكيد تفضلي بالجلوس ،ما اسمك وماذا تدرسين

_ كلارا .. أدرس حقوق

_أهلا بكِ مادموزيل كلارا ..هل تكملين دراستكِ

_ لا.. في الحقيقة أظن أنني سأتوقف حاليا

_ حسنا يلزمنا موظفة استقبال يمكنك البدء بالعمل متى شئت ولكن لدينا شرط

_تفضل ما هو

_ يجب أن تقيمي هنا وسيكون هناك يومان للاستراحة لأن فندقنا يقيم حفلات مسائية ..

_ حسنا سيدي موافقة هل يمكنني البدء الآن

_أجل ،سالي تعالي إلي

_ نعم سيدي

_هذه زميلتكِ الجديدة كلارا أعلميها عن مكان النوم وعرفيها عن العمل هنا

_حسنا سيدي ..تفضلي معي

كان وجه سالي نحيفا جدا ولكنها كانت جميلة إلى درجة كبيرة

_ لما جئتِ إلى هنا ..

_عفوا!!ماذا تقصدين

_ أهلا وسهلا بكِ أقصد أنكِ تمشين بالمرر الخاطئ

وأشارت لي إلى ثيابها، دققت قليلا بها إلى أن لاحظت جهاز تنصت مثبت في ثيابها

_لما..

أشارت لي لكي أصمت وأتممنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى غرفة كبيرة

_هذه غرفتي .. سنتشاركها سويا الآن ..

_حسنا شكرا لكِ

وضعت حقيبتي جانبا وراحت تفتش عن شيء ما ..

أحضرت عدة أوراق وقلم وأتت إلي وبدأت بالكتابة ..

"كوني حذرة ولا تفارقيني ،إن العمل هنا ليس كما تعتقدين ..سأحاول مساعدتكِ في أقرب وقت "

حاولت أن أخفي توتري وبدأت أتكلم

_امم حسنا .. لم أتعرف عليكِ بعد

_اسمي سالي ..فتاة يتيمة نشأت في ميتم وعندما بلغت

سن البلوغ أرسلني المسؤول عن الميتم للعمل هنا ،ماذا عنكِ

_أنا كلارا جئت إلى هذه المدينة لأكمل تعليمي وكنت أدرس الحقوق..

_جميل جدا .. تعالي لنبدأ بالعمل

كان كل شيء طبيعيا في اليوم الأول إلى أن استيقظت في الليل وأنا أشعر بأن أحدا يضع شيئا في ثيابي ..

_ماذ..

وضعت يدها على فمي وأخرجت الأوراق وبدأت تكتب وسط صدمتي ..

"لا تتكلمي نحن مراقبتان أعدكِ أني سأساعدكِ"

هززت لها رأسي وعدت لنومي وأنا في أشد حالات توتري ..

حل الصباح وبدأنا عملنا وبينما نحن نعمل جاء المدير وقال

_كيف الحال .. استعدوا الليلة لدينا حفلة كبيرة

وضيوف شرف
كانت نظراته لا توحي بالخير أبدا وكأن بشاعة العالم وقذارته اجتمعت بداخل عينيه ..
_أمرك سيدي
_هيا عودوا للعمل ..
أشارت لي سالي لكي آتي إليها
_نعم
_لدي بعض الأعمال هل يمكنكِ مساعدتي
_أجل بكل تأكيد
وضعت ورقة صغيرة بيدي وأعطتني مجموعة من الأعمال لكي أنجزها
"الليلة جهزي حقيبتك ،سوف أساعدك على الهرب و وسأضع لكِ بعض المال في الحقيبة لكي تستأجري غرفة ريثما تبحثين عن عمل جديد ،أنتِ في ملهىً ليلي وسوف يتاجر بكِ للرجال كوني حذرة الليلة وسأحاول مساعدتك بكل طاقتي "

"لما لا تهربين أنتِ "

"لا أستطيع ،مدير الميتم وقع على أوراق تؤكد أنني أعمل أعمالا غير قانونية حتى لا أفكر بالهرب ولا أملك مكانا أذهب إليه وهو لا يؤذيني ولا يعرضني على الرجال لأنه يحبني "

حل المساء وقلبي يخفق بسرعة أتساءل ما الذي

ينتظرني ،هل سأعاني أكثر ،هل سأهرب هذه المرة

أيضا ،أشعر وكأن الهروب هو لعنتي المؤبدة ،كان

علي أن أحمل اسم الهاربة بدلا من اسمي ..

_سالي خذي كلارا وقولي لها ما عملها اليوم

_أمرك سيدي

مشينا معا ودخلنا إلى الغرفة وراحت سالي تكتب لي

على الورق

_سأعطيكِ ثيابا لترتديها

_حسنا

"لا تقولي شيئا كوني متساهلة بالحديث حاولي ضرب

الرجل بأي شيء واهربي من النافذة ولا تخافي أنا معكِ ،تذمري قليلا بشأن الثياب "

_سالي ما هذه الثياب!

_كلارا ستعتادين على الأمر كما وأن هذا العمل سيجلب لكِ الكثير من المال

_أوه المال أنا أحب المال

ارتديت الثياب التي كانت فاضحة جدا وخرجت إلى سالي التي أعطتني ورقة وطلبت مني اللحاق بها

"بعد دخولكِ للغرفة حاولي ضرب الرجل بقطعة أثاث كما أخبرتكِ ،ستجدين حقيبتك بالداخل وسأضع بداخلها معطفا لترتديه عند خروجك وهاتفا قديما لكي أستطيع الاطمئنان عليكِ ،اقفزي من النافذة سأختار لكِ غرفة قريبة من الأرض كي لا تتأذي "

هززت لها رأسي وعانقتها بشدة تعبيرا عن شكري لها لم أعلم ما كان ليصبح مصيري لو لم تظهر هذه الفتاة في طريقي

مشينا إلى صالة الفندق التي تحولت إلى ملهى ليلي ..
اقترب المدير من سالي وقال:
_عزيزتي سالي ،تبدين جميلة جدا ،هل أعدت التفكير في موضوعنا
_أظن أنك تعرف إجابتي جيدا
_حسنا نتكلم لاحقا ،كلارا هل أعجبتك الثياب
_لا أفهم لما علي أن أرتدي ثيابا كهذه
_تعالي لأعرفك على شخص وهو سيوضح لكِ كل شيء .. مرحبا سيد فاروق هذه الموظفة الجديدة لدي كلارا
_أوه جميلة جدا
عندا رأيت نظراته المقرفة لي كرهت عيناي الخضراوان وكرهت شعري الأسود الطويل وبشرتي السمراء التي تجذب كل من ينظر إلي ،لم أكن أتوقع أن ترمي بي حياتي إلى مكان كذلك المكان المقرف وكفريسة إلى رجل كذلك الرجل

_هل أعجبتك

_أجل كثيرا ،أريدها الليلة لي

_خذها يا سيد فاروق ،سالي اعتني بضيفنا

_أمرك سيدي

أمسكت بي سالي ورمقتني بنظرة مريحة ،مشينا سويا وذلك الرجل يلحق بنا إلى أن وصلنا لغرفة في الطابق الأول ،أمسكني ذلك الرجل ودخلنا إلى الغرفة وذهبت سالي ،بدأ يقترب مني بطريقة مقززة تراجعت إلى الوراء وبقيت أتراجع إلى أن أمسكت بقطعة أساس صغيرة وضربته بها على رأسه مرات عديدة إلى أن أغمي عليه ،ارتديت المعطف ووضعت حقيبتي على ظهري وألقيت نفسي من النافذة

كان سقوطا قويا لم أكترث للدماء التي بدأت تسيل من قدمي نهضت وهممت بالركض إلى أن سمعت احدا ينادي

_سيدي لقد هربت سيدي الفتاة الجديدة هربت

ركضت بأقصى سرعتي واختبأت بجانب شجرة وأنا

أتنفس بقوة مرت دقائق قصيرة وإذ بي أشعر بيد
تمسكني بقوة
_سيدي لقد أمسكت بها
_اتركني اتركني أيها الغبي
جاء المدير وتكلم
_أوه أيها القطة أتحاولين الهرب
قطة !تذكرت تامر في تلك اللحظة وبكيت
بكيت على حبي الضائع ،وبكيت على أحلامي المبعثرة
بكيت لأني أملك حظا لا يساعدني ولو بأصغر
المواقف
وبكيت شوقا لدميتي المحشوة التي
كانت أخر شيء يثبت طفولتي
بكيت لأني لم أنل شيئا من حياتي ،
وبكيت لأن الشخص الذي أحبه لم يشعر بحبي له
_ماذا أصابك لما كل هذا البكاء
_اتركني أيها الساذج لم يكن هذا العمل الذي أخبرتني

عنه

_لقد جنيتي على نفسك يافتاة

وضعني بسيارته وأنا أحاول الإفلات منه بلا جدوى ، ذهب إلى شقة صغيرة وما إن أدخلني حتى جاءه اتصال

_ماذا تريدين سالي ،لا تظني أن عقابك سيكون أقل من عقابها

_اترك الفتاة وشأنها ،لا تلطخ حياة فتاة بريئة بأعمالك سأفعل أي شيء تريده اتركها فقط

_أي شيء

_أجل

_نتزوج والآن

_موافقة ،اتركها فقط قل للموظف بأن يسمح لي بأن آتي إليك

_حسنا استعدي إلى أن أخبر السائق بأن يحضرك أمر شخصا بأن يحضر سالي إلينا..

وعندما أتت سالي

_أهلا حبيبتي

_أين الفتاة

_ادخلي إنها في الداخل

اقتربت مني واحتضنتني

_سالي لماذا تفعلين هذا لي

_أحببتكِ، شعرت أنكِ نقية ولا يجب أن تكوني ضمن هذا المستنقع

_سالي أرجوكِ لا تفعلي هذا

_كلارا لا تنسيني عندما تذهبي

اقتربت منها وهمست لها

_لن يحصل شيء من الذي يريده ،انتظري وسترين

وبينما نحن نتكلم طرق الباب بقوة وعندما فتح المدير الباب اعتقلته الشرطة وتم إيقافنا معه

_آنسة كلارا هل أنتِ من قمتِ بالاتصال بنا

_أجل صحيح

_نشكر جهودك ، آنسة سالي لما تعملين لدى هذا الرجل

_سيدي الضابط كنت أعيش في ميتم وما إن بلغت سن الرشد حتى أرسلني المسؤول عن الميتم إلى ذلك المكان ،كان المدير يبيع الفتيات ويستغلهم بأبشع الطرق، ومن حسن حظي أنه أحبني لهذا لم يجبرني على فعل شيء ،والبارحة أتت كلارا للعمل في الفندق لذا قررت أن امنعها من الدخول في هذا العالم السيء، وعندما ساعدتها على الهرب استطاع الامساك بها وأخبرني أنه سيتركها فقط إن واقفت على زواجي منه، لذا وافقت لكي انقذها ..

_شكرا لكِ آنسة سالي ،آنسة كلارا كيف اتصلتِ بنا

_أعطتني سالي هاتفا قبل أن أهرب ،وبعدما ضربت الرجل على رأسه قمت بالاتصال بكم لأخبركم عما يحدث في الفندق ،

وعندما شعرت أن العامل رآني وأنا أهرب عاودت

الاتصال بكم وتركت الاتصال مفتوحا ووضعت الهاتف في جيبي لكي تستطيعوا تحديد مكاني إن أمسكني أحد

_نشكرك على ذكائك آنسة كلارا ،والآن آخر سؤال لكِ آنسة سالي

لما لم تبلغي عن هذا الرجل طيلة فترة عملكِ لديه

_كان يضع لي جهازا للتنصت ،وكان المكان مراقبا بالكاميرات وفي الحقيقة الهاتف الذي أعطيته لكلارا قبل أن تهرب قمت بسرقته من إحدى خزائن غرفة المدير وأعطيتها رقما قامت بجلبه لي إحدى العاملات مقابل الكثير من المال

_نشكركم جدا على مساعدتنا لكشف ذلك الرجل ،آنسة سالي سنؤمن لكِ سكنا لمدة سنتين إلى أن تستطيعي الاستقرار قليلا لأننا قمنا بإغلاق الفندق

_شكرا لكم ،هل يمكن أن تمكث كلارا عندي الليلة

_أجل تفضلا لكي يوصلكم أحد العناصر

مكثنا تلك الليلة دون أن نتحدث بشيء لشدة إرهاقنا
ابتعدت عن تامر يوما واحدا فقط
لما يحدث كل هذا معي لمجرد أنه ليس موجود، هل
يفقد الإنسان الأمان لمجرد غيابه عن من يحب
_وماذا بشأن مرضك
_لم أجد مجالا للتفكير به في ذلك الوقت ولم أكن أملك
المال الكافي للبدء بالعلاج
_أنا حزينة جدا لأجلك
_لا بأس ياكيان لقد اعتدت على الأمور
_هل أخي زياد يعرف بوجودك في هذه المنطقة
_لا، وأرجو أن لا تخبريه لا أريد أن يعلم تامر مكاني
لقد قذفتني الأقدار إليكِ وآمل أن لا تخبري أحدا بمكاني
_حسنا عزيزتي لا تقلقي ،سأذهب الآن إلى عيادتي
عندما تشعرين برغبة في الكلام اتصلي بي
_حسنا ،وأنا سأذهب أيضا لدي موعد في المشفى
_مشفى! لماذا

_آه أقصد مقابلة للعمل في مشفى

_حسنا بالتوفيق عزيزتي إلى اللقاء

خرجت من منزل كلارا وما إن دخلت عيادتي حتى تفاجأت بوجود آخر شخص أتوقع أن يأتي إلي

_تامر!!

_مرحبا كيان جئت لأسألك عن زياد إن هاتفه مغلق منذ أيام ولم أجده في منزله أيضا

_ها نعم لقد سافر لقضية مستعجلة إلى مدينة أخرى ، سيعود في الغد

_حسنا شكرا ،وأعتذر عن الإزعاج ،أستأذنكِ الآن

_لا انتظر لنشرب شيئا لا يمكنك أن ترحل هكذا

_لا أريد أن أعطلك عن عملكِ

_ليس لدي أعمال كثيرة ،تفضل بالجلوس

وبينما نحن جالسين ،رأيت دبلة زواج في اصبعه

_هل أنت متزوج

_أجل

_ما اسم زوجتك

_كلارا

_أوه، اسم جميل ..يبدو أنك تحبها

_أكثر من أي شيء ،لكنها بعيدة عني

_أين هي

_غادرتي منذ مدة ،منذ شهرين تقريبا ،بحثت عنها كثيرا ولكني لم أجدها

_آمل أن تلتقي بها قريبا ..

حل المساء واتصلت بكلارا وطلبت منها أن تأتي إلي

عندما جاءت كان وجهها شاحبا جدا

_كلارا ما بكِ

_أشعر بالدوار قليلا لا تقلقي

_متى هربتي من تامر

_منذ شهرين

_وكيف تقولين لي أنكِ متزوجة

_في الحقيقة ،لا زلت زوجة تامر ..

_وهل تعالجتِ ؟

_....

_كلارا تكلمي هل تعالجتِ

لم تجبني فاقتربت منها ووضعت يدي على شعرها فابتعدت بسرعة

_كلارا هل هذا..

_كيان أرجوكِ لا تقتربي

اقتربت منها بسرعة وأمسكت شعرها وشددته ،وإذ به يسقط

_لم تتعالجي بعد!،هل أخذتي جرعة اليوم

_كيان هذا ليس مهما الآن

_ما هو المهم إذا، كيان لما تتصرفين بغباء

_أريد أن انهي قصتي قبل موتي ،أريد أن أخط آخر سطور هذه القصة ،أريد أن تُسمع القصة من جهتي أن لا أكون أنا الهاربة والمذنبة في رواية الجميع ،أريد أن أشعر بالانتماء لمكان واحد على الأقل قبل موتي،

لا أن أكون المخطئة والسيئة دوما أن لا أكون المنبوذة والشريرة ،هل أطلب الكثير !

أعلم تماما أن الموت قريب مني جدا وأعلم أنه سيأتي إلي ، مهما قاومته ومهما حاولت إبعاده عني ،ولكني أريد أن أكون جاهزة له ،أريد أن أترك الأثر الذي لطالما حلمت بتركه

_لن تموتي الآن ياكلارا لن أسمح لكِ بالاستهتار أكثر ستجرين العملية في أقرب وقت ممكن أتفهمين

_ليس قبل أن أنهي كل الكلام الذي لدي

_حسنا ،ستنهين كل شيء

أمسكت الشعر المستعار وأعدته إلى رأسها كنت أنظر إلى عيناها الخضراوتان اللواتي امتلأتا بالدموع أيعقل حجم الألم الذي تعيشه أيعقل أن فتاة شابة قضت حياتها وهي تصارع كل تلك الأحزان

تنهدت بأسى وأكملت حديثها

في صباح اليوم التالي

_صباح الخير سالي

_صباح الخير كلارا ،لا أعلم كيف أشكركِ لقد غيرتي مجرى حياتي

_بل أنا التي أشكركِ ،ساعدتني على الهرب قبل أن أتلوث في ذلك العالم القذر

_العفو ياعزيزتي ،ما رأيك أن نبحث عن عمل

_أجل ،وسأبحث عن مكان لأعيش به ،الشرطة لن تقبل أن أبقى هنا

_صحيح ،مع أني أتمنى لو أننا نبقى سويا

_سنبقى أصدقاء دوما ياعزيزتي ،مسافة صغيرة لن تغير من هذا

خرجنا نبحث عن عمل وجدت سالي عملا لها في محل لبيع الحلويات ،أخبرتني أنها تحب تحضير الحلوى كثيرا لذا فإن العمل أعجبها

أما أنا ف لم يكن عثوري على عمل مع سكن بالشيء السهل استغرق الأمر اسبوعا قبل أن أصادفظ موزع الجرائد

_يا أخ ،هل يوجد في هذه الجرائد فرص للعمل

_نعم ،هل تريدين واحدة

_أجل أجل أعطني واحدة

_تفضلي

_شكرا لك

أمسكت الجريدة وجلست على إحدى المقاعد في الشارع، ورحت أقرأ الجريدة إلى أن لفتت نظري

فرصة عمل بدت مناسبة لي

"سيدة مسنة تحتاج إلى شابة تقيم معها وتعتني بها "

مشيت إلى أن وجدت هاتفا في الشارع وأدخلت الرقم به واتصلت

_مرحبا

_أهلا سيدتي كيف أخدمك

_اتصلت من أجل العمل لدى السيدة المسنة

_حسنا سأحولك إلى المدير

وماهي إلى ثوانٍ حتى ظهر صوت آخر

_نعم
_مرحبا ،لقد اتصلت من أجل العمل لدى السيدة ..
_أهلا بكِ تعالي إلي بعد ساعة
أعطاني عنوانا وأغلق الخط
كان العنوان بعيدا بعض الشيء ،ذهبت سيرا على الأقدام لأختصر أجور النقل ،وصلت إلى المكان المطلوب بعد ساعة ،كان الموقع عبارة عن منزل كبير مؤلف من عدة طوابق ،اقتربت وطرقت الباب ، فتحت لي سيدة مسنة تجلس على كرسي متحرك ..
_مرحبا سيدتي
_أهلا يا ابنتي ،من أنتِ
_في الحقيقة أتيت إلى هنا من أجل العمل الذي..
_أهلا وسهلا تفضلي بالدخول
_لقد قال لي السيد نزار أن آتي الآن
_يمكننا التعرف على بعضنا ريثما يصل ابني ،اجلسي هنا ،أعتذر منكِ لا أستطيع تحضير القهوة لكِ لم تأتِ

الخادمة بعد

_لا بأس سيدتي، أعلميني بمكان الأغراض وسأحضرها بنفسي

حضرت القهوة وجلسنا نتحدث

_ اذا عزيزتي ما اسمك

تلكأت قليلا ولم أعلم أي اسم علي أن أستخدم لكي لا يعثر تامر علي ،وقررت أن أستخدم اسمي الحقيقي فمن المؤكد أن تامر لن يكترث كثيرا لفكرة غيابي

_ اسمي كلارا ،درست الحقوق لمدة سنتين والآن توقفت عن الدراسة بسبب بعض المشاكل

_أهلا بكِ عزيزتي أنا اسمي كارول، أكل العمر مني وشرب إلى أن فقدت قدرتي على تحريك ساقي

_ سلامتك يا خالة تشرفت بمعرفتكِ جدا

وما هي إلا دقائق حتى سمعنا صوت الباب يفتح ودخل إلينا رجل وسيم ضخم البنية

_ مرحبا كيف حالك أمي

_أهلا عزيزي

_مرحبا سيدي

_أهلا بكِ، أنتِ التي اتصلتِ بي صحيح

_أجل

_تفضلي معي إلى الأعلى لكي نتحدث، هل أخذتِ أدويتكِ يا أمي

_أجل يا عزيزي

_حسنا تفضلي يا آنسة ....

_ كلارا ،اسمي كلارا

_تفضلي معي آنسة كلارا

صعدنا إلى غرفة بالأعلى

_إذا اتفقنا سويا ستكون هذه غرفتكِ ،إذاً ماذا تدرسين وهل تجيدين شيئا في التمريض

_درست الحقوق لمدة سنتين ،وتلقيت دورة تثقيفية في التمريض عندما كنت في الصف التاسع الاعدادي

_ جيد ،هل قرأتِ الشرط في الجريدة

_ تقصد السكن صحيح، أوافق عليه

_سيكون هذا الاسبوع بمثابة تدريب لكِ أمي تسكن هنا لوحدها لدي أخ شاب يحب السفر ولا يأتي إلى المنزل إلى في بعض الأيام وأنا متزوج وأقيم في منطقة تبعد عن منزل أمي مسافة كبيرة

_ حماكم الله ،آمل أن أكون عند ثقتك

_آمل هذا أيضا ، أريدك أن تتواصلي مع طبيب أمي لتعلمي كيفية التصرف معها

_حسنا سأطلب من السيدة كارول أن تعطيني رقمه لكي أتواصل معه

_ يمكنكِ أن تذهبي اليوم لإحضار أغراضكِ لتبدئي في العمل

ذهبت إلى سالي وأخبرتها أنني وجدت عملا ومكانا للسكن ،أخذت أغراضي وعدت إلى السيدة كارول

_ هل عدتي يا ابنتي

_ أجل سيدة كارول لقد أعطاني السيد نزار مفتاحا للمنزل

_ جيد يا عزيزتي أخبري الخادمة أن تحضر لنا كوبين من القهوة وتعالي لكي نتحدث

_ حسنا

جلسنا نتحدث سويا ونحتسي القهوة إلى أن يجهز العشاء

_حان موعد الدواء سأذهب لإحضاره

_فليحفظكِ الله يا عزيزتي

_ تفضلي اشربي

شكرا لكِ، إذًا ما سر هذه النظرات الحزينة التي أراها في عينيكِ

_ لا أريد أن أزعجكِ بمشاكلي يا خالتي

_ أعتبركِ كابنتي ياعزيزتي ،هيا تكلمي

بدأت أحدثها عن حياتي وعن كل ما مررت به كانت متعاطفة معي جدا وتسمعني بكل صمت وانصات، كنت أخبرها بكل ما مررت به ،شعرت كم أن الحياة قاسية علي ،كل ما طلبته من الحياة هو أن أجد مكانا

أشعر به بوجودي ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل ، كانت تسمعني بصمت تام إلى أن علمت بموضوع الورم الذي يرافقني

_ورم !هل بدأتِ بالعلاج يا ابنتي

_في الحقيقة لم أعلم به سوى منذ أيام قليلة ولا أريد أن أبدأ بالعلاج

_ ستبدئين العلاج غدا ولا مجال للنقاش

_لكن يا خالتي أنا لا أملك المال ،ولا أريد أن أبقى في الحياة أكثر ،أظن أنني اكتفيت من الحياة ومن سخريتها مني ولا أريد أن أتلقى منها صفعات أكثر من التي تلقيتها

_بشأن تكاليف علاجك سأعتبر نفسي المسؤولة عنها وأتمنى من الله أن تكون أيامك القادمة أفضل من التي مضت

_ أنا لا أرضى بهذا يا خالتي

_كلارا إن مرضكِ خطير ستبدئين بالجرع الكيميائية

إلى أن تحددي موعدا للعملية

_قلت لكِ أنني لا أريد أن أحيا أكثر يا خالتي لقد اكتفيت من الحياة اكتفيت من الخذلان والحزن والهرب لم تعد لدي القدرة على المقاومة أكثر أريد أن أذهب إلى الله ،وأعلم أنه سيكون رحيما بي أكثر من عباده، اكتفيت من الفراغ الذي يحيط بي، اكتفيت من سخرية القدر مني وكأني ألد أعدائه ..

_ لا تتكلمي هكذا ما زلتِ صغيرة يا ابنتي ستتلقين العلاج وهذا آخر قرار لي

_ولكني إن بدأت بالعلاج لن أقوى على الاعتناء بكِ

_ سنكون عونا لبعضنا يا ابنتي لا تقلقي بشأني أريد أن أترك أثرا طيبا قبل أن أغادر هذه الدنيا

_أتمنى لكِ العمر المديد يا خالتي

_سيدة كارول الطعام جاهز

_شكرا لكِ عزيزتي ، كلارا حبيبتي ساعديني للوصول إلى غرفة الطعام

جلسنا نأكل سويا شعرت أن الخالة كارول لطيفة جدا وحنونة أحببتها جدا، وتمنيت لو أنني عرفتها منذ زمن طويل

_تناولي الطعام يا ابنتي ،سأخبر ابني أن يرسل غدا سائقا لكي يأخذك إلى المشفى لتبدئي العلاج

_ شكرا لكِ يا خالتي لا أعلم كيف سأرد لكِ الجميل

_ العفو يا عزيزتي، هيا ساعديني لكي أذهب إلى السرير وأغير ملابسي

أتممت أمور الخالة كارول و استلقيت على السرير وأنا أفكر في كافة أحداث حياتي ،هل سأشفى يا ترى أم أن أثر وجودي في هذه الحياة سيبدأ بالاختفاء تدريجيا، كنت آمل أن أجد أياما جميلة قبل موتي، آمل أن أنسى سنين الحزن والشقاء ..

"قلو عيونو مش فجأة بينتسوا .. ضحكات عيونوا ثابتين ما بينقصوا "

_صباح الخير يا كلارا، اشتقت جدا لصوت فيروز في الصباح

_صباح الخير أيتها الجميلة شعرت أن المنزل بحاجة للقليل من الموسيقى

_ أحببت وجودكِ في المنزل جدا

_حفظك الله يا خالتي ،تعالي نحتسي القهوة قبل أن نبدأ بالتمارين

_ حسنا يا عزيزتي سيصل السائق بعد ساعة آمل أن تكوني جاهزة

_ أنا أيضا آمل هذا..

كان يوما من أصعب الأيام في حياتي ، نظرت إلى شعري الأسود بشرود

هل سأفقده الآن ! هل سأفقد سر أنوثتي !

ذهبت إلى الغرفة وأحضرت مقصا، وطلبت من السيدة كارول أن تقوم هي بتمشيط شعري لآخر مرة،مشطته لي وجعلته على شكل ضفيرة، فأمسكت المقص وطلبت

منها أن تقوم بقصه

_هل أنتِ جاهزة لهذه الخطوة يا ابنتي

_أجل جاهزة

ولكني لم أكن جاهزة ، لو أنها نظرت إلى بريق الدموع في عيني لعلمت أنني لست جاهزة ولن أكون جاهزة أبدا ..

سمعت وقع شفرة المقص على شعري شعرت وكان قلبي قد كسر في تلك اللحظة

_أعتذر جدا يا ابنتي

_ لا باس أظن أنني قوية بما يكفي لكي أتخطى هذه المرحلة

_ستتخطين وستعودين كما كنت قوية وجبارة فتاة بسنك استطاعت أن تواجه كل هذه المشاكل لن يغلبها هذا المرض ستكونين أقوى منه وتتغلبين عليه

وستعاودين ارتداء اجنحتك لتعاودي الطيران من جديد

وصل السائق واصطحبني إلى المشفى حيث أكملوا حلاقة ما تبقى من شعري وأعطوني أول جرعة كيميائية ، شعرت وكأنها سم يجري في الجسد ، عدت إلى المنزل وأنا منهكة تماما استقبلتني السيدة كارول وحاولت أن تخفف عني حزني قدر المستطاع ولكن الحزن كان في الداخل كان الحزن يسكن روحي وينهش جسدي وعقلي كان يحتلني شيئا فشيئا وأنا جالسة في مكاني ولا أقوى على منعه من السيطرة علي

_ رأسي يؤلمني بشدة

_ اهدئي يا عزيزتي أتمنى لك الشفاء القريب

مرت الأيام وأنا اتعالج وأساعد السيدة كارول في كافة أمور حياتها كانت خيط النجأة بالنسبة لي وكأنها الملاك الذي يحاول انتشالي من وسط أحزاني ليعيدني إلى بر السعادة

وفي أحد الأيام نادتني لغرفتها

_ نعم يا خالتي

_ افتحي خزانتي وأخرجي الصندوق الصغير الذي بداخلها

أخرجت الصندوق وأعطيتها إياه

_ اجلسي بجانبي و أمسكي به وافتحيه

_شعر !

_ أجل إنه شعرك جعلته شعرا مستعارا

_ أنا،أنا حقا لا أعلم ماذا يجب أن أقول

_لا تقولي شيئا يا عزيزتي يكفيني أن أرى نظرة السعادة في عينيكِ

_أنتِ حنونة جدا أنا حقا أحبك

بكيت جدا في ذلك اليوم واحتضنتها كانت تلك أجمل هديه قدمت لي في حياتي أصبحت أضع الشعر المستعار على رأسي وأنا بقمة سعادتي

مضت بعض الأيام قبل أن تأتي السيدة كارول إلي وتقول لي أن ابنها سيصل من سفره

_ هل تجيدين الطهي

_أجل يا خالتي وأجيد إعداد الحلوى أيضا

_جيد جدا هل يمكنكِ أن تساعدي الطباخة في إعداد الطعام اليوم إن كان هذا لا يزعجك ، يمكنك أن تكتبي كل ما تحتاجينه من معدات وأخبري السائق بأن يحضرها لكِ

_ اجل يا خالتي بكل سرور

_ أشكركِ جدا

_العفو ، سأذهب وأبدأ بتحضير الطعام

حضرت أصنافا عديدة من الطعام والحلوى كنت خائفة جدا من أن لا يحب أولاد السيدة كارول طعامي

حل المساء وسمعت أصوات سيارات في الخارج وعلمت أن الزائرين قد وصلوا

كانوا عائلة جميلة جدا تمنيت لو أنني بين عائلتي أنعم بالدفء والحنان الذي لطالما حلمت به لكن الحياة كان

لها رأي آخر وجعلت مني فتاة منبوذة بعيدة عن كل ما يخصها ..

نظر إلي ابنها حسام وتحدث

_ من هذه الفتاة

_إنها كلارا الفتاه التي تعتني بي

_ أهلا بكِ يا كلارا ، بالمناسبة اسمكِ جميل جدا

_شكرا لك

مضى اليوم الاول من قدوم افراد العائله ولم يكن هناك أي شيء يذكر وفي اليوم التالي

_صباح الخير يا خالتي سأحضر لكِ الدواء

_حسام ،إن كلارا لديها موعد في المشفى هل يمكنك إيصالها

_موعد ماذا يا أمي عساه خيرا

_لا تقلق يا عزيزي فقط أريد منك أن توصلها لزيارة أحد أقاربها هناك

لم أكن أحب أن يعلم أحد بمرضي وكانت الخالة كارول تراعي هذا الشيء

في الطريق لاحظت أن حسام اتبع طريقا مغايرا عن طريق المشفى

_حسام إن المشفى ليس من هنا

_أعلم إنه طريق مختصر

_حسنا

_أوقف السيارة أمام عمارة كبيرة وفتح الباب وطلب مني النزول

_ لماذا

_إنه منزل نزار اتصل بي وطلب أن أوصل ابنه

لمدرسته تعالي معي لكي لا يزعجك أحد

_حسنا

صعدنا سويا وأنا اشعر بشعور سيء ومخيف وقف أمام الباب وراح يفتحه

أحسست بأنه يكذب ف رحت أركض عائدة أدراجي لحق بي وحملني إلى الشقة وأقفل الباب

_ حسام اتركني ماذا تفعل

_أنتِ جميلة جدا هذه الدموع التي تتلألأ في عينيكِ

الخضراوتين لن تشفع لك

_ حسام أرجوك ابتعد حسام لا تقترب مني

_كان يحاول مهاجمتي بطريقة وحشية إلى أن أمسك بشعري فوقع ..

_ما هذا لما رأسك هكذا هل .. هل أنتِ مريضة سرطان

كنت أبكي جدا اقترب مني ووضع الشعر على رأسي

_ أنا.. أنا حقا أعتذر لا أعلم ما حدث لي أرجوكِ انهضي لكي نذهب إلى المشفى هيا

نهضت وأنا أرتجف أحكمت وضع الشعر على رأسي

وذهبنا إلى المشفى كان الصمت صديقنا طول الطريق

أنهيت الجرعة وخرجت من المشفى كان حسام ينتظرني بالخارج ، وفي طريق العودة قرر حسام كسر الصمت عندما سألني

_هل أنتِ مصابة بالسرطان

_أجل

_أين

_كتلة في الرأس

_أتمنى لكِ الشفاء العاجل

_شكرا لك ..

_كلارا .. انا اعتذر عما بدر مني ، صدقيني لست شخصا سيئا ولكن لا ادري ماذا دهاني

_متأكد أنك لست شخصا سيئا !

_انظري .. لا تسخري مني أرجوكِ ، أعلم أستحق كل ما ستقولينه عني

_...

_سأشتري لكِ شقة صغيرة ، وسأكون المتكفل بكل تكاليف علاجكِ

_شكرا لك لست مجبرا بذلك

_سنرى بهذا الشأن

_أعدني إلى الخالة كارول

وصلنا إلى المنزل واستقبلتنا الخالة كارول استقبالا حارا ، أصبحت هذه الانسانة بالنسبة لي الملجأ الآمن والبيت الصغير البعيد عن بشاعة هذا العالم وسوداويته كانت سكني الذي أجهض به مشاعري بلا أي آلام ..

_كيف حالك كيف تشعرين

_متعبة جدا وأشعر بدوار قوي

_اذهبي للنوم هيا

_سأعد لكِ وجبة خفيفة لكي تأخذي أدويتك وبعد ذلك سأنام

_حسنا يا صغيرتي ولكن لا تتعبي نفسكِ

أتممت أمور الخالة كارول وذهبت بعدها للنوم بشبب التعب الشديد الذي رافقني ، استيقظت على طرقات خفيفة على الباب

_تفضل

_أنا حسام

نهضت وأنا فزعة

_لا تخافي مني أرجوكِ ، اريد أن أتكلم معكِ قليلا

_حسنا سألحق بك إلى غرفة الجلوس

بدلت ملابسي وخرجت من غرفتي وأنا أرتجف

_خالة كارول أين حسام

_اجلسي يا ابنتي ، اخبرني حسام بكل شيء ، لقد غضبت منه كثيرا ، أرجو أن تقبلي اعتذاري عما بدر منه وهناك شيء يريد حسام أن يقدمه لكِ كعربون اعتذار

_كيف حالك كلارا ، وقعي على هذه الأوراق ، سآخذك غدا لتري الشقة وكما قلت لكِ بشأن تكاليف العلاج أنا المسؤول عنها بعد الآن وهذا آخر كلام عندي ، أرجو أن تقبلي اعتذاري

_شكرا لك يا حسام ..

أنهيت حديثي معهم وأطعمت الخالة كرول وعدت إلى غرفتي

شعرت بشوق كبير لتامر يكاد يفتك بي ، طيفه يظهر لي في كل مكان يرافقني ك ظلي وأشهر بوجوده قريبا مني في كل لحظة ، أخطأت كثيرا بحياتي ، ولكن بعدي عنه كان أكبر قرار خاطئ افتعلته

وضعت ورقة وبدأن أكتب كل ما يجول بفكري

_"إن كانت الكلمات عندك سخرة .. لا تكتبي فالحب ليس تبرعا"

قلت بحماس

_نزار قباني صحيح

_أجل يا عزيزتي

_إذا اسمعي هذا ، "أحبه لست أدري ما أحب به ..حنى خطاياه ماعادت خطاياه" ، لحظة ! خالة كارول أنتِ تمشين

_أجل يا عزيتي

_ولكن كيف يا إلهي كيف كيف هذا

_لا تبكي يا صغيرتي اجلسي لكي نتحدث قليلا

_ولكن كيف لست أصدق

_لا أدري طاقة غريبة جعلتني أقف فجأة ، وحاولت السير بصعوبة إلى أن وصلت لغرفتك اجلسي لنتكلم الآن وسأخبر أولادي في الصباح ..

أريدك أن تعديني بشيء

_بماذا

_عديني بأنكِ ستجرين العملية في أقرب وقت ممكن ولكن قبل هذا أريد منك الذهاب إلى كيان ، إنها معروفة بذكائها وهدوئها ، هي طبيبة نفسية وكاتبة ، أريد منكِ أن تخبريها بكل ما مررتِ به لكي تكون الشاهد الثاني من بعدي على ما مررتِ

به، لا أريد أن يجهل العالم حقيقتك وأن يظن الجميع أنكِ المخطئة في كل ما جرى

_حسنا ، كيف سأصل إليها يا خالتي

_خذي ، هذه بطاقة العيادة المخصصة لها

_حسنا يا خالتي .. أعدكِ بأني سأذهب إليها في أقرب وقت

_تعالي يا ابنتي ضعي رأسكِ على قدمي

استلقيت ووضعت رأسي على قدميها ، أزالت الشهر المستعار وبدأت تحرك يدها على رأسي الخالي من الشعر

_اعلمي دائما يا ابنتي بأنكِ معجزة ، شيء جميل جدا لا يقدر بثمن .. لا تسمحي لأحد بأن يذهب أثر الابتسامة التي تزين ثغركِ الجميل ، كوني أنتِ كما تحبين أن تكوني .. كوني ذاتك

قفي أمام المرآة وانظري لنفسكِ .. ورددي باستمرار، أنا معجزة .. أنا ضلع قادر لست بقاصر .. أنا أستحق الأفضل دوما ، إياكِ والضعف إياكِ والبكاء أمام أحد ، انعزلي في غرفتك وفرغي طاقتك الكامنة بداخلك حرريها واخرجيها ولكن بينكِ وبين نفسك ، ثم اظهري أمام الجميع بكامل قوتكِ وصلابتكِ اصنعي سعادتك بنفسكِ ولا تنتظري شيئا من أحد ..

طمأنينة غريبة نمت بداخلي من كلامها المفاجئ ، لم أفهم سبب قولها لذلك الكلام ولكنها أيقظت بداخلي كلارا أخرى ، كلارا القوية التي وأدتها قبل أن تأخذ أنفاسها في هذه الحياة نمت في تلك الليلة بجانب تلك المرأة المعجزة وأنا أشعر بالراحة التامة ..استيقظت صباح اليوم التالي ورأيت الخالة كارول نائمة وعلى وجهها شبح ابتسامة لطيف ، ابتسمت ووضعت يدي على وجهها

_أنا أحبك جدا يا خالة كارول ، أحبك جدا

شرعت في إيقاظها ولكني لما أتلقى منها أية رد

_خالة كارول .. خالة كارول انهضي

كانت لا تتحرك ، صرخت بها مرات عديدة ولكن لا جدوى من الصراخ ، جاء حسام فزعا من صوتي

_كلارا مابكِ ما بها امي

_قل لها أن تستيقظ ، أيقظها أرجوك

اقترب منها بوهن شديد ، تحسس نبضها ثم مددها على السرير برفق وغطا وجهها

_لا لا لا حسام ماذا تفعل ماذا جرى إنني أحتاجها أرجوك أيقظها أرجوك لم يتبقى لي غيرها

لم يكن حال حسام أفضل من حالي اتصل بأخيه الأكبر وبدأ المنزل يصبح مزدحما

_حسام .. لقد مشت ، صدقني لقد مشت وأتت إلي البارحة لقد لقد أمسكت بشعري وتكلمت معي إلى أن غفوت .. انظر إنها نائمة الآن لأنها متعبة نامت بسبب السهر ، اطلب منهم أن يخفضوا أصواتهم لكي لا يزعجوها

بكى حسام وهو يقول

_لقد ماتت يا كلارا ماتت

_هل فقدت صوابك ، هي من أخبرتني أنها ستقول لك بأنها مشت عندما نستيقظ

انهار حسام بالبكاء بشدة ..

الموت مفجع ،مفجع جدا يا كيان

بدأت مراسم الدفن ، أتم نزار كل أمور الدفن .. لم يأخذ الأمر سوى ساعات قليلة حتى أصبحت تحت التراب

كنت أغفو فوق قدميها منذ ساعات ، والآن هي ترقد تحت التراب بلا أي صوت أو حركة

ذهب الجميع وبقيت واقفة أمام قبرها برفقة حسام

_هل سامحتني على ما كنت سأفعله معكِ يا ترى

_أجل إنها تحبك وسامحتك بكل تأكيد

_وأنتِ .. هل سامحتني

_أظن أنني نسيت كل شيء الآن لم يعد يهمني شيء .. لا تظن أنها نرقد هنا لوحدها ، اعلم أن قلبي دفن معها ولن أستطيع إعادته بعد هذا الفقد الذي أصابني ..لقد ذهبت ، كانت الأم والملاك المنقذ أعطتني الحنان الذي لطالما تمنيت أن تمنحني إياه أمي ، لن أسمع صوتها مجددا .. لو أنني علمت أنها ستموت لما سمحت لها بالنوم .. أنا .. أنا حقا لم يتبقى لي أحد ..

كان حسام يبكي بشدة .. ذهب وتركني لوحدي

اقتربت من القبر بهدوء واستلقيت فوقه

_قلتِ لي أن لا أبكي أمام أحد .. هل يمكنني البكاء على قبركِ الآن ، إن بللت التراب بدموعي فهل ستصل إليكِ يا ترى هل تسمعين بكائي! تعالي وأيقظيني من هذا الكابوس أريد أن أصحو أرجوكِ تعالي إلي الآن ، أريدك معي وأمامي ، يا من وجدت بحضنها الدفء الذي فقدته ، هل استطاع التراب احتضانك بلطف كما احتضنتني البارحة ..

يا ليتني هذا التراب

غفوت على القبر ولم أستيقظ إلا عندما جاء حسام وأيقظني أخذني إلى المنزل وطلب مني أن أجهز نفسي لكي يأخذني إلى شقتي

_ستكملين علاجكِ بدءا من الأسبوع القادم

_لا داعي له

_كلارا .. إن أمي أصرت على إكمال علاجك ، لا ترفضي رغبتها أرجوكِ

_حسنا

أوصلني حسام إلى شقتي الصغيرة وذهب .. ويعد أيام تذكرت ما قالته لي عنكِ وأتيت لأخبركِ بكل شيء

_لم تكوني تعرفين أن زياد أخي!

_لا

_أنتِ عظيمة كلارا .. ألا تفكرين بالعودة إلى تامر

_لا يا كيان

_سأذهب غدا إلى طبيبك لأرى وضع علاجك ، وسنحدد موعدا للعملية

_كما تريدين

وفي هذا اليوم انتهت كلارا من جلساتها معي ، حاولت أن أكتشف داخلها .. أنا أغوص بعالمها أكثر ، هناك شيء ناقص ، جزء مفقود

أخرجت تقريري و بدأت كتابة الحالة وتحليلها وأنهيت تقريري ب جملة "بعض النهايات يمكن أن تبقى مجهولة" وأنل ك طبيبة وكاتبة عجزت عن وضع أخر سطر في هذه الحكاية ..

وضعت هذا التقرير مع التقارير الأخرى وقمت بتسليمهم ..

استيقظت بالصباح وقمت بالاتصال بكلارا لكي نذهب للمشفى

_كوني جاهزة سأصل بعد دقائق

وصلت إليها ووجدتها بانتظاري ، ذهبنا إلى المشفى وحددنا موعد العملية بعد أسبوع واحد

وما إن خرجنا من المشفى حتى جاءني اتصال

_نعم سيدي .. أجل وهي برفقتي الآن ..حسنا .. حسنا .. سأخبرك إن وافقت .. شكرا لك

_أظن أنني قاطعت عملك

_لا يا عزيزتي .. في الحقيقة هناك اجتماع كبير سيقام بعد يومين بما يخص الحالات النفسية.. بعدما قرأ المدير قصتكِ طلب من أن اصطحبكِ معي .. هل تمانعين

_لا أدري .. في الحقيقة أنا أكره الأماكن المزدحمة

_سأكون برفقتكِ .. افعليها من أجلي

_حسنا يا عزيزتي من أجلكِ فقط

_أشكركِ جدا

لم أرى كلارا قبل الاجتماع فقد كنت مشغولة بأموري الطبية ، وبينما أنا مشغولة بعملي خطرت ببالي فكرة لا أعلم عواقبها

_زياد كيف حالك

_أهلا كيان أنا بخير ماذا عنكِ

_بخير جدا .. هل يمكن أن تقدم لي خدمة

_بكل تأكيد

_أما أعرف مكان كلارا

_تقصدين كارلا !

_أجل

_سأخبر تامر على الفور

_انتظر يا زياد ، اريد منك أن تجلب تامر وتأتي إلي الآن لكي نتحدث بهذا الأمر

_حسنا حسنا

وبعد وقت قصير وصل زياد برفقة تامر

_تفضلوا بالدخول

_هل ما قاله زياد صحيح

_تامر كن هادئا ، اجلس وسأخبرك القصة كاملة

_حسنا

_لا تصدروا أي صوت .. فقظ استمعوا ، (مرحبا كلارا

_أهلا عزيزتي

_كيف حالك ، هل أنتِ جاهزة للغد

_أجل جاهزة

_سآتي إليك غدا

_سأكون بانتظارك

_حسنا إلى اللقاء

_إلى اللقاء

_إلى أين ستذهبون غدا

أخبرت تامر بكل شيء ، بدءا من هروب كلارا إلى يومنا هذا

_كيان .. إن الكلام الذي سمعته كلارا مني بالمكتب ، كان قصدي منه أنني أحبها .. أنا أحب كلارا منذ طفولتها ولكن عندما قرر عمي تزويجها سافرت وابتعدت كي أنساها وكانت روسلين مجرد وسيلة لنسيانها عندما أخبرني أبي بطلاق كلارا من أحمد شعرت بسعادة كبيرة وعندما عدت إلى البلاد كنت مصمما على الزواج منها هذه المرة وشاءت الأقدار أن ألتقي بها ، قلت لها أن السفر لن يتم إلا بزواجنا وتزوجنا على الورق ساءت علاقتي بروسلين وتركتها بعد أن اكتشفت خيانتها لي ، لم أرد أن أشعر كلارا بأي شيء .. في آخر ليلة قالت لي بأنها تحبني .. واختفت بعدها ..عندما قالت بأنها تحبني شعرت بأنني ملكت العالم بكلمة واحدة خلقت لي أجنحة ولكنها سرعان ما بترتها ..

اتفقنا على أن يأتي في اليوم التالي إلى الاجتماع وذهب برفقة زياد على أن نلتقي غدا استيقظت في الصباح على صوت رنين الهاتف

_صباح الخير يا كيان

_أهلا كلارا

_أعتذر على الإزعاج ولكن بقي ساعتين على موعدنا

_حسنا عزيزتي سآتي إليكِ بعد ساعة

نهضت وأعددت نفسي للذهاب ، ذهبت إلى كلارا ووصلنا بالوقت المحدد ، كان تامر وزياد يجلسان في المقاعد الأخيرة كي لا تلحظهما كلارا

وقف المدير وشرع بالكلام

_على مدار السنة ، حالات كثيرة توضع على مكتبي ليسوا بمجانين .. وإنما عقلهم الباطني تعب من التحمل ،واحتاجوا الذهاب للأطباء النفسيين لترميم هذا الخلل ، من بين التقارير الكثيرة .. كان هناك عدة تقارير أخذت من تفكيري الكثير وأصحابها اليوم هنا برفقتنا .. بداية أطلب من السيدة كلارا أن تشرفنا بصعودها على المنصة لكي تلقي لنا كلمة عن حياتها ..

_كيان ماذا يحدث

_هذه فرصتك ياكلارا هيا اصعدي واطلقي العنان لمشاعرك

_ولكن..

_لا تترددي هيا

صعدت على المنصة بكل شموخ وشرعت بالكلام ..

_بائسة .. لست قوية ولا أملك أي صفة من صفات القوة .. لست سوى فتاة متمردة ، انسلخت عن ذاتها .. اقتلعت جذورها وراحت تبحث عن تربة صالحة لتعيظ التجذر بها ..

هاربة .. لما الهرب !

الهرب للعيش . للحياة ، هربت بحثا عن حياة أفضل هربت لأكون إنسانة مستقلة .. أمضيت حياتي أبحث عن الاستقلال ، هل وجدته يا ترى !

لا ، لأني خسرت ذاتي ، خسرت ذاتي وخسرت شغفي وخسرت أسباب البقاء .. أقف الآن أمامكم وأسأل نفسي ..

من أنا ! من أنا .. ما أنا إلا إنسانة تنتظر أن يأتي الموت ليأخذ ما تبقى منها .. إنسانة رفضتها كل الأماكن وجميع البشر

بم أخطأت !

إنسانة بقيت تتأرجح بين ثنايا القدر والقدر ينهش روحها ليعيدها إلى صوابها ..

لم أطلب شيئا من الحياة .. بحثت فقط عن دفء العائلة ودفء الحب ، لكني لم أجد نفسي سوى وسط صقيع بارد مثلج

أقف الآن بينكم ، لا أعرفكم وأوقن تماما أنكم لا تعرفونني ..

أردت أن أكون نورا ، أو لربما ومضة

أدرك أنني سأكون أثرا في حياة أحدكم ، ربما قصة

تحكى أو عبرة تعتبر

لكني أدرك أنني سأكون أثرا ..

أسأل نفسي بما أخطأت ، أو هل أخطأت ياترى ..

أجل أخطأت ، عندما حاولت البحث عن حياة لا حياة فيها حياة لا يتوجب علي أن أفعل شيئا بها ، سوى الموت ..

أنهت كلامها وأمسكت بشعرها وألقته أرضا

وقف الجميع مذهولا . صمت تام غمر الحاضرين

كسر هذا الصمت تصفيق بعيد وصوت يقول "أخطأتِ

عندما حاولتي البحث عن حياة لست فيها .. لا حياة لنا في البعد يا كلارا ، لا حياة في البعد "

و هم الجميع بالتصفيق الحار

نظرت إلى كلارا وإذا بها ملقاة على أرضية المنبر

_كلاراا

ركضت إليها بكامل سرعتي ولحق بي تامر وزياد

حملها تامر بين ذراعيه وهو يردد

_لا تغلقي عينيكِ كلارا لا تقلي عينيك

_هيا تامر لنأخذها إلى المشفى

جلس تامر في المقعد الخلفي وهي يحتضن كلارا

_تا.ت.تامرر

_أجل أجل أنا تامر

_لم عدت

_عدت لأنني أحبك ، لا يمكنني أن أحيا بدونكِ

_أنا.. أ. أحبك

_لا لا تقوليها أرجوكِ

_في أول مرة قلتها غادرت .. ووالآن .حان وقت .. المغادرة

_لن تغادي أتسمعين لن تغادري ، زياد أسرع أرجوك

وصلنا إلى المشفى وتم إجراء الفحوصات اللازمة أنى إلينا طبيب كلارا على عجل

_آنسة كيان عملية مستعجلة

_ولكنك حددتها بعد أيام

_وضعها اختلف قليلا

خمس ساعات تحت العملية كان اليأس والخوف يغمران تامر

فتح الباب وخرج الطاقم الطبي .. نظرنا إليهم بخوف ورجاء

_العملية انتهت . ولكن

_لكن ماذا

_إننا الآن في غيبوبة ..كان مكان الورم حساسا جدا .. نأمل ألا تفقد ذاكرتها

ثلاثة أشهر ..وكلارا مغيبة عن العالم كان تامر لا يفارقا ..رأيت الحب الحقيقي في عينيه وفي تلك المدة أحضر تامر والدة كلارا إليها .. وكان يشارك كلارا كلا تفاصيل أيامه

وبينما كنت مستلقية على سريري جاءني اتصال

_نعم أيها الطبيب

..._

_ماذا تقول .. سآتي حالا

وصلت إلى المشفى وأنا أركض بين الممرات بكل سرعتي ورأيت الطبيب وتامر ووالدة كلارا

_تعالوا معي

_لقد استيقظت يا تامر هل سمعت

_الحمدلله

دخلنا إلى الغرفة وكانت كلارا جالسة وهي شاردة بالفراغ

_مرحبا يا ابنتي .

نظرت إلى الطبيب وإلينا بوهن

_ما اسمك يا ابنتي

_...

_ من أنتِ

_أنا ..

_أجل من أنت

_أنا

_تكلمي أرجوكِ

_اهدأ ياتامر

_يا ابنتي ألا تذكرين من أنتِ

_أنا .. أنا كلارا ، الضلع القادر

جلس تامر أرضا وهو يبكي ويحمد الله

_أتعلمين من هؤلاء

_كيان تامر و. و أمي

_لا لا تبكي ياعزيزتي أجل أنا أمك يا كلارا أمك لماذا فعلتي هذا لماذا

_سيدتي لا تزعجيها أرجوكِ..

النهاية

كانت عملية ناجحة وبدأ شعر كلارا بالنمو تدريجيا ،وبعد شهر كانت تحضر نفسها لزفافها

_أريد أن أبحث عن كلمة تحمل معنى أعمق للحب فأنني والله شغفت بكِ حبا

_مهووسة أنا..مهووسة بك وإن بقيت هكذا سيقال أنني مجنونة بك .. شغفتني حبا وعشقا وهياما .. أحبك يا تامر .. أحبك جدا

_وأنا أحبكِ بكل ما تحمله كلمة حب من معاني

وبعد شهور طويلة من العلاج .. أنجبت كلارا فتاة صغيرة لتكون شاهدا على حبهما السرمدي ..

_ماذا سنسميها يا كلارا

_ سنسميها ..لورا

_وماذا يعني يا حبيبتي

_القوة يا حبيبي .. القوة والقدرة

تمّت بعون الله

رغَد صهريج

كيان

ضلع قادر

غارقة في ضجيج أفكارها ،لطالما حاولت الهرب ..
كانت دائما ما تهرب من أفكارها إلى أفكارها ،
عالقة هي ..عالقة بين ماضٍ تحسب نفسها أخطأت
به ،وحاضر ينهش روحها ليثبت لها أنها أخطأت ..
لطالما حاولت التعايش مع واقعها لكن ثمّة شيء دائما
ما كان يهمس لها بأن هذه ليست حياتها ،هذا ليس
مكانها وهذه ليست هي ..
أرادت أن تكون قوية ،أن تهب القوة لكل من
حولها ،أرادت أن تكون حكاية ،أن تكون أثرا
أن تكون "ضلعا قادرا"

RAGHAD SAHAREEJ